روايات عبير

اليزابيث اشتون

في ظلّ العملاق



١٢٤

روايات عبير

No. 124

في ظل العملاق

«انك تقعين من جديد في الرومنسية. النقاش المستمر يصبح رتيباً في النهاية».

«الا تتحمل أي مزاح؟».

ثم ضحكت وقالت:

«هل سترى انيتا اورمان في الجنوب؟».

«آه، ألا تثقين بي؟».

«بلى، لكن...».

«تبا لك ولهذه الكلمة! اسمعي، يا لورنا. ساصفي أعمالا ملحة وأجد وكيلا يحل مكاني ويساعد انيتا. هل تثقين بي، نعم أم لا؟».

«طبعاً. ما فائدة الحب من دون الثقة؟».

«الشك عملية لا تطاق».

«لا شك بذلك».

انه يطالب لورنا ان تثق به، لكن، هل كان صريحاً معها؟ كانت تشعر بان مايك يخفي عليها امراً يتعلق بأنيتا. لقد أقسم ان لا علاقة عاطفية بينهما لكن الرجال غير صادقين فيما يتعلق بعلاقاتهم مع النساء...

لبنان	ل.ل	الكويت	٨٠٠ ف	اليمن	١٠ ر	السودان	٨٠٠ م
سورية	ل.س	الإمارات	١١ د	تونس	١٢٥٠ د	U.K.	£1
الأردن	٦٠٠ ف	البحرين	١٢٥٠ د	ليبيا	٨٠٠ د	France	F 10
العراق	٥٠٠ ف	قطر	١٠ ر	المغرب	٩ د	Greece	Drs 180
السعودية	٩ ر	عمان	١٢٥٠ ر	مصر	٨٠٠ م	Cyprus	P 1250

١ - لورنا تحمل رسالة الى العمدة

الحر الساحق يسطع من السماء البيضاء على الصحراء الغربية. والريح الساخنة تبعث، من حين الى آخر، بتموجات في بحار الرمال. ويحد الطريق من جهة اليسار نباتات الصبار، وخلفها لا وجود لأي شيء. لا شيء بتاتاً يفصل دلتا النيل الخصبة عن الصحراء. وعلى يمين الطريق واحات من شجر النخيل والاوكاليبتوس.

هذه الطريق هي احدى المحاور التي تصل القاهرة بالاسكندرية. تسلكها السيارات بصورة مستمرة. وتنطلق على هذه الطريق سيارة اميركية ماركتها شفروليه، تقودها فتاة نظرها مسمّر بالاسفلت وتحاول ان تجد المنعطف الذي سيقودها الى قرية «سيلي دارا» فهي

تحمل رسالة الى رئيس بلديتها. قيل لها انه لا خوف عليها ان تضل لان اعلان الصحيفة واضح. غير انها تسير على هذه الطريق الرئيسية منذ وقت طويل وبدأت تستاء من الغبار وسطوع الشمس بالرغم من نظارتيها السوداوين السميكتين وقبعتها الواسعة.

أخيراً، لمحت امرأة بلباس اسود وعلى رأسها كيس من النايلون يحتوي على مشترياتها. هذا المنظر الفظ ليس اعتيادياً، فخففت سرعتها لتسألها عن الطريق عندما اكتشفت لافتة قديمة كتب عليها: سيدي دارا... الكلمات البيضاء تبرز بوضوح على اللافتة السوداء. فأعطت اشارة وانتظرت قليلا كي تستطيع اجتياز الطريق لكثرة تدفق السيارات الآتية في الاتجاه المعاكس. ولما انكشفت الطريق أمامها، انعطفت الى اليسار ولم تعد ترى المرأة باللباس الأسود.

قالوا لها ان الطريق الى سيدي دارا سالكة، انما في الواقع، لم تكن واضحة في بعض الأحيان. ربما يعود ذلك الى عاصفة رملية هبت اخيراً. لكن الفتاة ظلّت تسير بثقة والدرب تتجه نزولا الى ان اختفت الطريق العام بسرعة وراء تلة عالية من الرمال. ران صمت شامل، والفتاة تتوقع ان ترى القرية في أي لحظة الآن.

بعد قليل وصلت الى مفترق طرق. ولم تجد اي اشارة لأي من الاتجاهات العديدة. فتوقفت مترددة. ثم رأت رجلا على ظهر حمار يقترب باتجاهها. انه فلاح يرتدي الجلابية التقليدية ويعتمر العمامة. فتحت النافذة وسألته:

- من فضلك، أين هي طريق سيدي دارا؟

بدا انه فهم الاسم وبحركة من رأسه اشار الى اليمين. فأخذت الفتاة الاتجاه المذكور وأسرعت قاطبة الحاجبين، لا ترى أي وضوح

ولا اي أثر للقرية ولا لشجر النخيل الذي يتكاثر فيها. لم تكن سيدي دارا روضة صحراوية، انما كانت تحتوي على عدد كبير من الآبار، فتأخذ الأشجار غذاءها من الينابيع الموجودة تحت الأرض. ولأول مرة، أدركت الفتاة تغافلها وخطأها وأيقنت انه ما كان يجب عليها ان تغامر في المجيء وحدها الى هذه الأرض المجهولة. لم تكن تعرف ان القرية ستكون بعيدة الى هذه الدرجة، ولا ان الطريق ستكون سيئة.

أشرف النهار على نهايته ولم تكن تنوي ان تجد نفسها في الصحراء عند حلول المساء. سيدي دارا لا تقع بعيداً عن الطريق الرئيسي... غير انها اجتازت حتى الآن مسافة طويلة...

أخيراً حصل ما لم تكن تتوقعه، فتعطلت السيارة. عشرات المرات حاولت ان تدير المحرك، لكن من دون جدوى. فهي لا تعرف شيئاً عن علم الميكانيك وليس باستطاعتها حتى ان تغير عجلة. خرجت من السيارة ورفعت الغطاء المعدني ونظرت الى المحرك، لا تدري ما تفعل. لا شك ان الرمال وصلت الى الشمعات... وجدت نفسها في طريق مسدود.

أغلقت الغطاء المعدني ونظرت حولها. لا شك ان القرية قريبة من هنا. فما عليها الا الذهاب مشياً على الأقدام بحثاً عن النجدة. نعم... لا شك ان سيدي دارا هناك... في الأفق... فأخذت اتجاهاً مباشراً وحذاؤها المقطّع ينغمس في الرمل. لكن... اين شجر النخيل؟ وأين البنايات؟ وجدت نفسها امام تلة من الصخور العارية.

تسمّرت مكانها، منهكة وعلى وشك الانهيار، ثم جلست بثقل على صخرة ملساء. لكنها سرعان ما نهضت من جديد لشدة سخونة الصخرة التي كادت تحرق فستانها.

ربما تختبىء هنا الأفاعي والعقارب؟ بدأت تركض عائدة الى سيارتها حيث بامكانها ان تنتظر حلول العاصفة او مجيء احد لانقاذها.

توقفت مندهشة. لم تر سيارتها. وفقدت حس الاتجاه. أين سيارتها؟ وبخوف تابعت سيرها متعثرة في طريقها. فجأة تسمّرت مكانها كأنها أصيبت بالجنون وأدركت انها ضلّت طريقها نهائياً! ولم تعد تجد أثراً لخطواتها! هل غمرت الريح الخفيفة آثارها أم انها مرت قربها من دون ان تراها؟...

أخيراً لمحت من بعيد شبحاً يتوجه نحوها. انه رجل يمتطي حصاناً. ولتلفت انتباهه، خلعت قبعتها وراحت تلوّح بها كبيرق. وبدأت الشمس تضرب بقوة على رأسها العاري من دون ان تعي ذلك. هل رآها الفارس الوحيد؟ أرادت ان تناديه لكنها لم تنجح الا باصدار صرخة خانقة فخارت جميع قواها.

الرجل يتوجه نحوها بسرعة ومعطفه يطير حوله مثل غيمة. هل هو رجل عربي؟ انها متأثرة بروايات الصحراء. الشيخ الوسيم يخطف البطلة ويصطحبها الى خيمته... للأسف هذه المغامرات لا وجود لها الا في القصص. لقد سبق ورأت كثيرين في القاهرة، لكن لم تقع في هوى احد منهم.

فجأة شعرت بالخوف. ربما كان هذا الرجل انساناً خطراً. لكنها استعادت وعيها. ستعده بمكافأة سخية وتجعله يقتنع بضرورة مساعدتها. المهم ان تتمكن من التعبير بوضوح ببعض الكلمات العربية التي تعرفها.

خفف الحصان سرعته واخترق الغبار وجه الفتاة وحلقها. الفارس يرتدي رداء أبيض ويعتمر عمامة تقليدية. بقلق وتوتر

بحثت في وجهه عن ملامح لطيفة. كانت بشرته سمراء من شدة تعرضها لأشعة الشمس، لكن عينيه المحدقتين بالفتاة، كانتا زرقاوين بارزتين.

تصورت انها تعيش حلماً، فتلعثمت وقالت:

- كنت أعتقد انها سوداوان.

نزل الرجل عن حصانه وقال بلغة انكليزية:

- يا ايتها الفتاة الحمقاء! ضعي قبعتك على رأسك!

• • •

استعادت وعيها بعد ساعات طويلة ولأول وهلة اعتقدت انها في سريرها في فندق هيلتون القاهرة. نظرت حولها وأدركت انها في محيط تجهله كلياً. كانت داخل خيمة بسيطة، خالية من أي ديكور فاخر معروف عادة في قصور الأثرياء. الأثاث بسيط ومؤلف من سرير مخيم ضيق وفوقه غطاء رمادي، ومصباح معلق بالسقف. شعرت بشيء بارد على جبينها، فرفعت يدها لتكتشف منديلا وضعت بداخله قطع الثلج.

فانتصبت في الحال وبدأت تستعيد ذكرياتها... الرسالة لم تصل الى صاحبها، العطل في السيارة، الصحراء، الرجل ذو العينين الزرقاوين على ظهر حصان... كان من المفروض ان تكون عيناه سوداوين... وماذا بعد ذلك؟ أغمي عليها، من شدة الحر والتعب. بالكاد تتذكر شيئاً ضئيلا عن العودة على ظهر الحصان، في الغسق، جالسة امام الرجل الذي كان يتمسك بها بشدة. ذراعه القوية اعطتها الطمأنينة والأمان بالرغم من كرهها الاعتيادي ان يلمسها احد. لم تعرف الى أين يأخذها، ومن يكون. لكنها لم تكن في حال تسمح لها بطرح الأسئلة، لذلك استرخت أمام هذا الشعور

بالأمان والاستقرار. قبل وصولها، أغمي عليها من جديد.

وبينما كانت منغمسة في ذكرياتها شعرت باهتزاز في الخيمة فالتفتت نحو الباب ورأت رجلا يدخل. وللحال عرفت الفتاة منقذها. من دون عمامته وبزته العربية، كان يبدو اوروبياً بشعره القصير الأسمر ووجهه الملوّح الحليق وعينيه الزرقاوين. كان يرتدي قميصاً أصفر وسروالا بيج وحذاء يلمع. وعلى خصره زنار احمر يضيف غرابة الى هيئته. قامته المشوقة وعرض كتفيه يعبّران عن حيوية كبيرة

والفتاة كانت بيضاء كالثلج. شعرها الأشقر يبدو كالفضة تحت النور المترجرج. وبشرة جلدها طرية وبيضاء كاللبن. عندما التقى بها الرجل كانت ترتدي فستاناً أبيض وسترة خفيفة. في هذا الطقس الحار يرتدي الفلاحون حتى اليوم جلابيات واسعة. لم تعد ترتدي السترة الآن وبدا عنقها وذراعاها بلون ابيض كالحليب وبشرتها تلمع تحت النور الشحيح. العنصر الملوّن الوحيد في هذا المزيج من البياض كان حاجباها ورموشها الطويلة التي تحيط عينيها الرماديتين. حتى فمها لم يعد له لون.

والرجل الذي ينظر اليها مفصلا، هل كان معجباً بها او مستاء؟ من الصعب اختراق وجهه. بريق اهتمام برز في عينيه الزرقاوين الثاقبين واختفى في الحال. هل هذه علامة شفقة او انفعال؟ لم تتوصل الفتاة الى تمييز ذلك. فقال لها:

ـ اخيراً، استيقظت من نوم عميق.

كان صوته حاداً وجذاباً. أضاف يقول:

ـ ... والآن، ربما بامكانك ان تخبريني من أنت، وكيف ضللت طريقك في الصحراء.

مسحت الفتاة جبينها الرطب بالمنديل. الأفكار تغلي في راسها. لم

تكن تعي الا لأمر واحد: هذا الرجل الواقف امامها، لا شك انه وسيم وجذاب ولم ترَ احداً بجاذبيته من قبل. نظراته القوية توترها. راحت تتأمل ذراعيه القويتين وتذكرت في الحال كيف حملها وأمسكها بقوة أمامه على الحصان. اجتازتها قشعريرة وأجابت بصوت ضعيف:

ـ أدعى لورنا ترافيرس.

ـ اذن، يا لورنا ترافيرس... أنت نحيلة حتى الذبول.

التفت الى جانبه وتناول كأساً وضع بداخله شراباً وبعض قطع الثلج وقال:

ـ ... خذي، اشربي. هذا شراب مفيد لأعصابك.

جرعته دفعة واحدة. لا شك ان هيئتها مخيفة... شعرها المليء رملا وفستانها المتسخ، وشحوبها القوي. للأسف... كانت تودّ لو بامكانها ان تؤثر فيه. ربما كان ذلك ممكناً لو كانت بحالتها الطبيعية. العديد من الرجال اعجبوا بها، لكنها لم ترغب في اغراء أي منهم. أما هذا الرجل الجذاب الواقف أمامها فيختلف كلياً عن بقية الرجال وتريد منه ان ينجذب اليها.

وذكرت بأنها فقدت تبصّرها لشعورها بهذه الانفعالات العاطفية. معروف عنها انها تتصرف ببرود وترفّع أمام الرجال الذين أطلقوا عليها لقب «المرأة الجليدية».

لم يعد الرجل يتحمل صمتها، فقال:

ـ اذن...؟

ـ كنت... كنت متوجهة الى سيدي دارا.

ـ الى سيدي دارا؟ آه، كنت بعيدة عنها كلياً! لكن، هل كنت ذاهبة مشياً على الأقدام؟

وقع نظره على ساقي الفتاة النحيلتين وعلى قدميها وحذائها المقطع. فأضاف يقول:

- وهذه الأحذية؟

- كلا، كلا... كنت موكلة بايصال رسالة الى عمدة القرية. جئت من القاهرة في سيارتي.

- في سيارتك؟ لكنني لم أرَ أي سيارة.

- لا شك انها في مكان ما هنا... لما تعطلت قررت ان أكمل طريقي سيراً على الأقدام... وهكذا ضللت طريقي.

- لا عجب بذلك! في هذه المنطقة الصحراوية، الطرقات تتشابك وتتقاطع في كل الاتجاهات. لكن، في أي حال، أنت مجنونة أن تأتي الى سيدي دارا وحدك! لقد التقيت بك بطريق الصدفة، ولما خلعت قبعتك أصبت بضربة شمس... كدت ان تموتي...

- انا اعترف اني كنت متهورة وغير حذرة. قيل لي ان سيدي دارا لا تبعد عن الطريق العام. خالتي تعاني من آلام حادة في الرأس. فتضطر ان تبقى طريحة الفراش يوماً كاملا على الأقل. أرادت ان توصل رسالة الى عمدة القرية لتعتذر منه، ولذلك اضطررت للمجيء...

قال ساخراً:

- مبادرة رائعة! ولماذا كانت خالتك مصرّة ان توصل رسالة الى عمدة مصري؟ فابراهيم بدوي وكمعظم البدو لم يعد يعش حياة الترحال بل قرر الاستقرار نهائياً في هذا المكان. لكن هذا لا يمنع انه ما يزال غريزياً في نظرته الى الحياة.

لكن لورنا كانت تفكر بأمر آخر. فصرخت باستغراب:

- آه، ستقلق خالتي عليّ! الوقت متأخر، أليس كذلك؟ اذا

دخلت الى غرفتي ولم ترني عائدة فستساءل ماذا جرى لي.

- بامكاني ان أساعدك على ذلك. في المخيّم هاتف، سأتصل بالشرطة وأطلب منهم ان يتصلوا بخالتك، اذا اعطيتني اسم خالتك وعنوانها، سأبلغ الشرطة في الحال.

- شكراً. خالتي تدعى الليدي اوغوستا كلافرينغ وتعيش الآن في فندق هيلتون في القاهرة.

الدهشة... ام ربما الخوف... غيّرت ملامح وجه الرجل الذي قال:

- ليدي اوغوستا! الهيلتون! لم أكن أتوقع انني قمت بنجدة شخصية كبيرة!... لا شك انك مثل بقية الفتيات الحمقاوات اللواتي يملكن المال من دون التعقل، واللواتي يفعلن أي شيء للشعور باحساسات جديدة!

ضحك ثم أضاف:

- في كل حال، لقد نجحت في تحقيق ذلك!

أسرعت الفتاة في الرد قائلة:

- آه، لا أنا لست من هذا النوع، كما تظن!... والدتي هي شقيقة الليدي اوغوستا.

صمتت لحظة ثم أضافت:

- أنا تحت حمايتها. أشفقت عليّ وضمتني الى أعمالها الخيرية، فأنا... سكرتيرتها، ورفيقتها. وصدّقني، أعمل كثيراً لأكسب معيشتي!... هل سبق وسمعت عنها؟

- نعم. انها امرأة انسانية خيّرة تفتش في كل مكان، تكتب المقالات، وتقيم الندوات حول المشاكل الاجتماعية الحالية. وحسب طريقتها الخاصة، تحاول ان تجد حلا لهذه المشاكل. لكنني لا

أؤمن بالاصلاحات الواسعة. حسب رأيي أنا، يحق لنا ان نذهب الى الجحيم اذا ما كنا نرغب بذلك. لكن، ماذا تفعل في مصر؟ أعتقد ان مشاكل هذا البلد خارج امكانياتها.

أطلقت لورنا ضحكة عالية وقالت:

- والانفجار الديموغرافي المتعلق باحصاءات الشعوب؟

- في كل حال، اذا كانت تحاول اقناع ابراهيم، رئيس سيدي دارا، فلن تذهب بعيداً معه. أولاده العديدون ليسوا سوى دليل لرجولته... حتى ولو انه يجد صعوبة لتغذيتهم كما يجب. لكن...

نظر الى لورنا بامعان وقطب حاجبيه وأضاف:

- فتاة رائعة مثلك لا يجب ان تهتم بهذه المواضيع.

احمرّ وجهها. بالاجمال تكره المديح والثناء خاصة من قبل الرجال، لأنها تشك بصدقهم. فجمالها الشفاف كان له الأثر الكاسح على المصريين العاملين في دائرة الليدي اوغوستا وعواقب ذلك كانت أحياناً مأساوية. أحدهم قدم لخالتها خمسين جملا بمقابل الفتاة! غير ان قلبها لم يتزعزع. زواج والداها الفاشل أدى بها الى الشعور بأنها فتاة يتيمة. فبعد الطلاق تزوج والداها كل واحد بدوره بسرعة وأوكلاها الى الليدي اوغوستا التي اقترحت عليها ان تتعلم مهنة السكريتاريا. هذه الحادثة التي عانتها في الطفولة جعلتها لا تتأثر بأي انفعال. بامكان الحب ان يكون أنانياً الى درجة انه يجرح شعور الأبرياء، وهي واحدة منهم. فقد تركها والداها من أجل حب كل واحد منهما لشخص آخر.

شعرت بمرح لاهتمام هذا الرجل التقليدي بها. اليوم الفتيات يعرفن بأمور الحياة اكثر من الماضي...

راحت تشرح له قائلة:

- اطبع على الآلة الكاتبة كل مقالات خالتي. ومعظم الأحيان لا أفهم محتوياتها.

- أتمنى ذلك. أفكار الفتيات مثلك من الأفضل ان تكون اكثر عاطفية.

- الحلم بالخرافات لا يتحقق أبداً!

رفع حاجبيه، لكنها أكملت تقول:

- ... وأنا لست بفتاة صغيرة! عمري ٢٠ سنة، يا حضرة الأستاذ الذي لا أعرف اسمه، ولا أنخدع بسهولة. في الواقع جاءت خالتي اوغوستا الى هنا بأمر من الطبيب. انها تعاني من مشاكل رئوية وجاءت الى القاهرة كي تتخلص من الربيع الانكليزي البارد والرطب.

فجأة شعرت بالارهاق، فأسندت رأسها الى الوسادة وقالت:

- ... سأكون متشكرة لك لو تعملها بأمر وجودي هنا.

ومن جديد شحب وجهها وغاب اللون عنه.

- ما كان يجب عليّ ان اسمح لك بالكلام. فما زلت متعبة جداً! سأتصل هاتفياً بفندق هيلتون وسأرسل بعض الرجال بحثاً عن سيارتك... متى أكلت آخر مرة؟

همست تقول:

- لقد تناولت الغداء باكراً جداً.

ألقى نظرة الى ساعة يده وقال:

- والآن الساعة الواحدة بعد منتصف الليل! أنت اذن بحاجة الى بعض الغذاء.

- لا، لست جائعة.

- لن تشعري بتحسن صباح الغد اذا لم تأكلي شيئاً سأرى ما يمكن

ان أحضره لك.

لكنه لم يخرج في الحال وظل ينظر اليها بحيرة بينما كانت مسمّرة مكانها وممددة على غطاء رمادي كأنها مقعدة. نحافتها تمتد من معصميها حتى كاحليها. ملامح وجهها ناعمة. شعرها الأشقر الحريري منسدل على الوسادة ويعكس نور المصباح المترجرج. انها زنبقة من الشمال... وليست في مكانها وسط هذه الصحراء. تبدو وكأنها قطعة من الثلج تسقط في النار.

لا شك انه يعرف اوغوستا كلافيرينغ. من زمان كانت امرأة محاربة، تمارس نشاطات عديدة وخاصة عندما كانت تدافع عن حقوق المرأة. هذه الحرباء المحنكة رفضت الجنس الخشن بسبب خيبة عاطفية عاشتها في شبابها.

خرج بسرعة كأنه يهرب من خطر. فتحركت لورنا قليلا وتنهدت خجلا من ضعفها. سمعت أصواتاً خارج الخيمة، ثم صوت مخلّصها يقول بحزم:

- كلا، لا يجب ازعاجها. لا تعاني من الألم، لكنها متعبة. لا شك ان الطاهي الايطالي يمكنه ان يحضّر لها شيئاً تأكله.

وبعد قليل سمعت صوت المذياع وأغنية شعبية. ثم ران الصمت فجأة كأن أحداً أعطى أوامره الصارمة. وفكّرت لورنا بأنها كانت صريحة مع هذا الرجل الغريب وهو لم يكلمها بشيء عن حياته. لشدة ما كانت بحاجة ان تشرح له أمرها، نسيت ان تطرح عليه الأسئلة الشخصية. ثم راحت تتساءل أين هي الآن. الظاهر انها في مخيّم ما يذكرها بالمعارض العلمية، أو بحديقة الحيوانات المفتوحة. ويبدو ان هذا الرجل رياضي ويعرف جيداً سيدي دارا وعمدة القرية كما يعرف خالتها ايضا.

وغريزياً شعرت لورنا بالثقة تجاه مخلصها. صحيح انها موجودة الآن في خيمته، وفي سريره، لكنه لن يغتنم هذه الفرصة لاثارتها. كانت متأكدة من ذلك. سيفي بوعده ويتصل بالليدي اوغوستا ويبحث عن سيارتها. غداً ستعود الى القاهرة وتكرّس نفسها من جديد لعملها. صحيح ان الليدي اوغوستا تبدو لطيفة مع ابنة اختها، لكنها نادراً ما كانت تظهر لها عن عطفها وحنانها. انها كريمة بصورة عامة، تجاه العالم كله، وتكرّس وقتها للقضايا المهضومة حقوقها وللاصلاحات الاجتماعية. لكن هذه التصرفات تظل غير شخصية. فقلبها الذي كان قديماً مليئاً بالحنان ومتفتحاً، أصبح اليوم مغموراً حتى المزال.

وتعتقد لورنا ان سبب ذلك رجل احبته في الماضي حباً كبيراً. ولا تتمنى لورنا ان تعيش تجربة الحب ابداً. فنادراً ما يجلب الحب الفرح الكامل، انما يجلب دائماً العذاب. ربما، في المستقبل، عندما تصبح أكبر سناً، تلتقي برجل لطيف وحنون. فيقدم لها الحماية التي تحتاج اليها سرياً. ومعاً يعيشان حياة هادئة ومشرقة.

غطت لورنا في نوم متقطع ورأت نفسها من جديد على ظهر حصان في الصحراء، تضغط عليها بشدة ذراع رجل وسيم وهي ترخي بدورها رأسها على صدره. وفوق، السماء مليئة بالنجوم البيضاء الكبيرة، تلك النجوم التي تدل البدوي في أسفاره على الطريق، شعرت حينذاك بسعادة كبرى. غير انها فقدت صوابها... وعلى استعداد، فجأة ان تؤمن بعالم سحري، مسكون بالشخصيات العاطفية وحيث بطل الصحراء يقع في الحب الى الأبد.

لكن الرجل الذي أخذها بين ذراعيه، عيناه كانتا زرقاوين بدلا

من ان تكونا سوداوين، فهل هو انكليزي الجنسية؟

طرح عليها الأسئلة العديدة كأنها مذنبة. ويعتقد انها فتاة حمقاء تبحث عن أحاسيس غريبة. لكن لما فهم خطأه اعتبر ان رأسها محشو بالأحلام العاطفية وبالتالي وضعها في عداد المراهقين.

أفاقت من نومها بلمسة خفيفة من يد وضعت على كتفها. وببطء فتحت عينيها والتقت نظرتها بعينيه الزرقاوين ورددت ما سبق وقالته:

- كنت أعتقد انهما سوداوان...

- ماذا؟ لقد سبق أن قلت لي ذلك من قبل.

- عيناك. المفروض ان تكونا عيني الفارس السوداوين.

ضحك وقال:

- ألا تعتبرين نفسك فتاة عاطفية؟

كان صوته ساخراً. أضاف:

- ... عندما رأيتني مسرعاً على حصاني، هل اعتقدت ان ذلك اشارة من القدر؟ آسف ان أخيّب آمالك، لكنني لست بفارس والحصان ليس ملكي.

استيقظت لورنا تماماً ورأت صينية على طاولة قرب السرير عليها أسياخ من لحم الضأن المشوي وشرائح الخبز وزجاجة عصير. شعرت بالجوع لرائحة الطعام فنصحها قائلا:

- أرجو ان تأكلي قدر استطاعتك.

جلست فوضع الرجل الصينية فوق ركبتيها. ثم أخذ المنديل الرطب من قرب وسادتها ورماه بعيداً. فقالت:

- هذا ليس طعاماً ايطالياً.

- ولماذا تريدين ان يكون هكذا؟ آه... لا شك انك سمعت ما

كنت أقوله. لقد اقنعنا البيرتو ان ينوّع الوجبات. لقد سئمنا أكل المعكرونة بالجبنة.

- لا شك انك رجل مهم، ولديك طباخ تحت خدمتك. أتصوّرك وأنت تشوي اللحم على الموقد، خاصة في نزهة برية... أو شيء كهذا...

- هذا أمر قديم العهد. لم يعد هناك شيء يحرق في هذه المنطقة بل نستعمل الغاز للمحروقات... على فكرة، اتصلت بالميلتون وتمكنت من اعلام خالتك بالأمر. قلت لها انك ستعودين في الغد، اذا ما سمحت لك حالتك الصحية.

- طبعاً ستتحسن حالتي الصحية. وعليّ ان أذهب من هنا، في كل حال.

- هل تجدين رفقتي مملة؟

- ليس هذا ما كنتُ أقصده.

وجدت سؤاله في غير محله. ماذا يقصد؟ كلمات المديح؟ فقالت:

- ... ربما أزعجك.

- لا، ابداً. أهلا وسهلا بك.

لكن لهجته أصبحت غير شخصية فقالت:

- ان هذا الأمر غير اعتيادي... فتاة غريبة تظهر فجأة في قلب الصحراء وتعكر عاداتك اليومية الروتينية...

- ربما تتوصلين الى تحقيق ذلك.

كانت عينا الرجل تلمعان. فوضعت كأسها على الطاولة ونظرت اليه بقسوة وقالت:

- لا اعرف اسمك.

ـ مايك فافرشام.

شكت الفتاة ان يكون قد أعطاها اسمه الحقيقي وذلك من نبرة صوته الحازمة.

ـ هل تجد مانعاً ان تخبرني ماذا تفعل هنا، يا سيد فافرشام؟ هل تقوم بعمل مهم؟ أنا أخبرتك كل شيء عني وأنت لم تخبرني عنك شيئاً.

أجابها بمراوغة:

ـ بامكانك الانتظار... متى انتهيت من الأكل، سأتركك لتنامي.

ـ لقد نمت ما فيه الكفاية. وأنا بحاجة الى بعض الوقت لأهضم هذا الطعام.

أشارت الى الصينية وقالت:

ـ ربما أحول دون ذهابك الى النوم.

ـ أبداً. نادراً ما أنام قبل منتصف الليل.

ـ اذن، هل هناك سر ومن أجله لا تريد ان تخبرني عنك؟

ـ يا الهي، لا! اخشى فقط ان اخيّب آمالك.

جلس على الكرسي الصغير ومدّ ساقيه الطويلتين أمامه، يحدّق بطرف حذائه ويقول:

ـ ... توقعي صدمة ما. كونك ابنة أخت الليدي اوغوستا، عملنا سيئو وقحاً وتافهاً. نحن هنا في صدد تصوير فيلم سينمائي.

اندهشت لورنا للأمر، فلم تكن تتوقع هذا الاحتمال ابداً. هل يصور فيلماً وثائقياً عن الحيوانات التي تعيش في هذه المنطقة؟ فقالت بصوت خافت:

ـ بعض الأفلام تكون تثقيفية.

ـ لكن ليس هذا الفيلم.

رفع بصره نحوها وابتسم. أسنانه البيضاء تضيء وجهه الملوح بالشمس.

ـ .. انه فيلم ميلودرامي تدور أحداثه في الصحراء. ربما التقيت بالفارس الذي تحلمين به... لكنه لن يكون حقيقياً.

٢- لورنا تكتشف هوية مضيفها

لم يسبق للورنا ان تعرفت من قبل الى ممثل سينمائي او الى أي انسان يعمل في حقل السينما والمسرح. فالليدي اوغوستا تكره كل من يعمل في هذا المجال وتعتبر ان الممثلين والممثلات متصنعون وأنانيون، لا يهتمون الا بالدعاية التي يحصلون عليها. ولورنا متأثرة عفوياً بهذا الرأي. قد تعجب بعمل مسرحي جيد او بفيلم جميل، لكنها لم تأمل ان تلتقي يوماً بمن يصنعون هذا الفن الحديث. ربما لأنها تخشى ان يكون السحر الذي يظهرونه على المسرح او على شاشة السينما غير حقيقي.

نظرت الى مايك فافرشام وكأنه آت من كوكب آخر، وشعرت بالخيبة. بنظرها كل من يستثمر شخصيته للجمهور لا يتمتع حقاً

بالأصالة والأخلاق. فلم تجرؤ على التعبير عن أفكارها بصراحة، انما قالت بصوت متردد:

- اعتقد انك تلعب الدور الأساسي في هذه الملحمة، أليس كذلك؟

رفع مايك رأسه الى الوراء وقهقه ضاحكاً. فتأثرت به وفوجئت بأنها تبتسم هي ايضا. ثم قالت:

- لماذا تضحك هكذا؟

- اذا سمع ماريو برازيني ما تقولينه، فسيجن جنونه! فهو بطلنا الأساسي. ربما سبق وشاهدت له بعض الأفلام؟

نعم لورنا شاهدت فيلماً له. هذا الايطالي الجذاب والفاتن اصبحت له شهرة عالمية. لكنها لم تحب أعماله أبداً.

- اننا نؤلف فريقاً متعدد الجنسيات. البطلة تدعى روزينا روزيتي. انها نصف اسبانية والمخرج اميركي الجنسية والمنتج بريطاني. فشركة اكسليور هي انغلو- اميركية.

نعم، لقد سبق للورنا ان شاهدت روزينا روزيتي على الشاشة ايضا. انها فتاة سمراء حاذقة، لكن برأيها ليست الممثلة المثالية لهذا النوع من الأفلام. فالشيوخ يفضلون الشقراوات. عبّرت لمايك عن رأيها، فهزّ كتفيه وقال:

- انها في قمة الصحة. وهذا ما يهم اكثر من أي شيء آخر.

- وأنت... انكليزي الجنسية، أليس كذلك؟

- أنا عديم الجنسية. متشرد كما يقولون.

- لكن لا شك ان لديك بلد المنشأ. ويبدو عليك انك انكليزي.

- اذن، كما تريدين.

- حسناً. لكن ما دورك في هذا الفيلم، اذن؟ هل... تلعب

دوراً ثانوياً؟

ـ لا شيء مهماً. اني احل محل ماريو برازيني، اي أدبلج دوره. بوب، المخرج أوكل الي هذا الدور عندما كنت في الاسكندرية، لأنه كان يبحث عن مخاطر بديل، أي بهلوان يقوم مقام الممثل الحقيقي في الأدوار الخطرة. خاصة ان المخرج حريص جداً على صحة البطل. فحادث واحد يكفي ان يكلف الشركة غالياً. ثم اكتشف امكانياتي في اتقان لغات عديدة، أتكلم العربية ولهجة أهل البلد، فكنت له مساعداً مفيداً، وهذا ما يفسر وضعي المميز وهذه الخيمة الخاصة...

نظر حوله ثم أضاف:

ـ ليست رائعة، لكنها لي.

ـ هذا لطف منك ان تتخل عنها من أجلي.

ـ أنا مسرور لاعارتها لك. لا يمكنني ان اسمح لك ان تتقاسمي خيمة أخرى مع أشخاص عديدين. في الواقع، لا يوجد في المخيم سوى امرأتين، مساعدة المخرج والمزينة. تتشاجران باستمرار. جيسكا نحيلة مثل الفاصوليا الخضراء. والسيدة بلامر تزن حوالى ٩٠ كيلو.. فلن تكونا رفيقتين مسليتين لك.

ـ أنا متشكرة حقاً. والآنسة روزيتي؟ أليست هنا؟

ـ بل، آمل ذلك. لدينا تمثيل صباحاً عند الفجر. ونهار واحد يكفي لانهاء اللقطات الخارجية. فلا يبقى لدينا الا مشهد واحد. غير اني أشعر بأن شيئاً غير متوقع سيحصل. حسب رأيي، بطلتنا الرائعة ذهبت سراً الى القاهرة وأخشى الا تعود الى هنا في الوقت المحدد. ولهذا السبب قررنا الابتعاد عن المدينة. فمن الصعب ان يلتقي الممثلون في آن واحد. لقد سئمنا جميعنا الصحراء.

ـ أظن ان المناطق الصحراوية، بعد وقت معين تصبح مملة.

كانت أفكارها منصبّة جميعها على الرجل الجالس أمامها. لم يكن مطابقاً للوصف الذي يعطيه عن نفسه. كان يبدو قديراً جداً وواثقاً من نفسه، وباستطاعته ان يجد وظيفة إكثر أهمية، لكنه يعيش حياة بوهيمية. ربما تكون عائلته كريمة وأصيلة، ورفضته كونه متشرداً؟ تصرفه يدل على انه رجل ذو عرق أصيل... لا، ان مخيلتها المجنونة تخونها: البورجوازيون لا يرفضون أولادهم في يومنا هذا، بل يتركون لهم الحرية في ان يختاروا مستقبلهم بأنفسهم. لكن ما الذي دفعه ان يلعب دور المخاطر البديل؟ فلا شك ان باستطاعته ان يجد بسهولة عملا آخر، الا اذا كان واحداً من هؤلاء المتعصبين للسينما الذي يأملون في ان يصبحوا يوماً ما أبطالا مهمين. لا... لا يبدو انه ممثل جاد.

سألته وهي تتابع سير أفكارها:

ـ هل وجهك ملائم للتصوير من وجهة النظر الجمالية؟

ـ لا أعرف. لكن هذا أمر ثانوي طالما انهم لا يأخذون للبديل اللقطات المباشرة، بل بالعكس.

ـ ولكن، ألا تريد ان تصبح ممثلاً؟

ـ وأسوأ من ذلك ايضا.

ـ الظاهر ان الممثلين يعيشون فقط من أجل فنهم. لكنك انت لا تبدو متحمساً للغاية.

ـ هذه واحدة من أفكارك الرومنسية.

تنفس عميقاً وغيّر جلسته، فقالت:

ـ لا أعرف شيئاً عن هذه المهنة.

ـ لم يفتك شيء مهم.

ظلت صامتة. هذا الرجل يحيّرها. لكن، ليس من المفروض ان تكترث لأعماله. غداً سيفترقان ويذهب كل واحد في طريقه وربما لن يلتقيا ابداً. فجأة قال:

- لقد وجدنا سيارتك. انها سيارة شفروليه بيج، أليس كذلك؟

- آه! عظيم.

شعرت بالارتياح. غداً ستكون عملية تسفيرها من هنا سهلة. هذه السيارة تخص الليدي اوغوستا التي لن تكون مسرورة لو فقدت لورنا السيارة بسبب تهورها وتسرعها.

- والعطل، ما سببه؟

- الرمال الناعمة دخلت في كل مكان داخل المحرك. اما الآن فهي تسير جيداً.

- لقد فعلت الكثير من أجلي وستكافئك خالتي على مساعدتك بسخاء.

رفع رأسه بحركة مفاجئة ولمعت عيناه غضباً وقال:

- على ماذا ستكافئني؟ أنا ممثل بسيط ولا أطلب مالا لأنني قمت بنجدة فتاة كانت في حالة يرثى لها.

شعرت لورنا بضربات قلبها تشتد سرعة. انه وسيم للغاية عندما يكون غاضباً...

- سامحني، كنت حمقاء ومخطئة. احياناً يتعود المرء ان ينال بقشيشاً بدلا لأي خدمة يقوم بها. لم أكن أريد ان اشتمك.

- كيف يمكن لبهلوان ان يكون حساساً الى هذه الدرجة؟

- ... لكن على الأقل، أرجو ان تقبل تشكراتي وعرفاني الأبدي.

ابتسم بمرارة وقال:

- لكن عرفان الجميل نادراً ما يكون صادقاً... وحتماً لن يكون أبدياً.

- أعبّر عن أحاسيسي خطأ.

انجرح شعورها وأضافت:

- ... لقد انقذت حياتي ولن أنسى ذلك أبداً. يوماً ما بامكاني ان أرد لك هذا الجميل.

- هذا امر يدهشني. لكن بامكانك ان تفعلي حركة صغيرة الآن.

وضع نظره على فم الفتاة. فاحتلتها قشعريرة غريبة. اذا أراد ان يقبلها فلن تدفعه عنها. هذا الطلب قليل جداً بالنسبة الى ما فعله من أجلها. غير انه فكّر وأزاح نظره ثم قال ببرود:

- انت تبالغين في الأمور، كنت ستجدين انساناً آخر ليساعدك لو لم أكن هنا.

أحست لورنا انه عرف ما يدور في ذهنها. حتى ولو كانت، بصورة عامة لا تقبل القبل بهذه السهولة.

- لست متأكدة أبداً. لم أشعر بوجود أي حياة نابضة قبل وصولك.

واحتلت مخيلتها ذكريات حلوة: الرجل الذي يمتطي الحصان ويقترب منها. فأضافت تقول:

- ... كنت بطل هذه الحادثة، في كل حال.

- الشيخ ذو العينين الزرقاوين؟... ولا شك ان «قصري» خيّب آمالك.

وبحركة من يده، أشار الى بعض الأثاث داخل الخيمة وقال:

- لا وجود للسجاد العجمي الغالي، ولا للطنافس الشرقية ولا للأريكة المغلفة بالشراشف الحريرية او بجلد الفهد... هنا رائحة

دواء الحشرات تحل محل رائحة الياسمين... والعاشق الشغوف لم يرتم على قدميك.

نهض واقفاً وقال:

ـ ستشعرين بارتياح أكبر من دون أحذيتك المتقطعة، أليس كذلك؟

راح يساعدها على خلع حذائها. أصابعه تلمس قدم الفتاة وهي ترتعش. هذا الرجل يملك سحراً مغنطيسياً... انها وسيلة ناجحة لمهنته، لكنها صاعقة أمام النساء.

ـ ألا تشعرين بالبرد؟ الليالي هنا باردة جداً.

ابتسم وقال:

ـ أنا رجل مبتدىء واستفيد من كل الفرص لأطوّر نفسي وأحسّنها. ربما انت تشجعيني ان أذهب بعيداً اكثر. ستشعرين بسعادة للاشتراك معي وبالتالي تبرهنين لي عن امتنانك وشكرك. الممثل البديل لا يلعب على الشاشة مشاهد الاثارة والحب وآمل ان الفت نظر مديري يوماً ما عن براعتي هذه... اذا نجحت ان أقنعه في أن يدعني أقوم بتجربة صغيرة في هذا المجال...

ـ لن أسمح لك بذلك أبداً.

قبل لحظات كانت تود ذلك، لكنه الآن بدأ يسخر منها. فقالت:

ـ رجل جذاب مثلك لا يجد صعوبة في ايجاد النساء الجميلات المستعدات للاشتراك بتجاربك.

ـ لكن، لسن هنا. اما انت، فنعم.

ـ ليس الأمر طارئاً. السيد بوب...

ـ بوب هيلي.

ـ السيد بوب هيلي لا شك انه لم يفكر بالأمر هنا. وأنتم الآن قد

شارفتم على نهاية التصوير...

ـ كلا، لا أبداً.

ربما لا يملك مايك فافرشام موهبة التمثيل، لكنه سيكون ناجحاً في حقل السحر والجاذبية. كانت تأمل في ان ينجلي الانفعال الذي يحتلها. فجأة انحنى أمام قدمها فهمست تقول والرعشة الناعمة تعبر جسمها كله:

ـ لا... لا... لا احب ان يلمسني أحد.

في هذه الحال بالذات ما تقوله خطأ وغير صحيح كلياً. لكنها أضافت تقول:

ـ ... خاصة ان قدمي غير نظيفتين.

ـ بالفعل انهما مليئتان بالغبار.

وضع قدم الفتاة مكانها ثم غطاها بالغطاء. وانتفض واقفاً وراح ينظر اليها وبريق ساخر يتأرجح في عينيه الزرقاوين.

ـ هل تشعرين بالرومنسية الآن قليلا؟

هزت رأسها لأنها تعرف انه يسخر منها، ثم قالت:

ـ لقد سبق وقلت لك بأنني لا أحلم. أنا لا أبحث عن مغامرة، يا سيد فافرشام. طبعاً دورك ان تثيرني، فهل هذا برهان لبراعتك؟

مزاج مايك الساخر اختفى فقال:

ـ صحيح. غداً سنفترق، أنت وأنا. لقد حصلت على تجربة صعبة، لكنك ستنسينها بعد اسبوع في ترف فندق الهيلتون.

ابتسمت لورنا. نعم انها ستفرح بالعودة الى غرفتها المريحة والأنيقة بعد خشونة هذا المكان البسيط. غير انها كانت تمضي هناك ساعات عديدة وراء مكتبها... او بالأحرى وراء مكتب الليدي اوغوستا التي تراقبها باستمرار. وهذا المساء كانت حرة وتشعر

بالارتياح تعويضاً على عدم حريتها.

ـ انت متواضع جداً يا سيد فرفرشام. سأتذكرك كثيراً.

نظر اليها متأملا وحزيناً ثم قال:

ـ من الأفضل ان تنسيني بأسرع ما يمكن. خالتك لن توافق على صداقتنا.

انطوى على نفسه وكل أثر للمرح غادر وجهه. اعتقدت لورنا انه قلق على مستقبله. فلا ترغب ان تبعده عن حياتها. بالرغم من عدم وجود أي صلة محتملة بينهما. لا شك ان هذا الرجل انسان محقق. ولو لم يكن هكذا، لماذا يعمل اذن في شركة أفلام اكسلسيور في دور بديل ثانوي؟ يبدو انه يتمتع بجميع الامكانيات التي تجعله يتخذ أي مهنة أخرى ذات قيمة أكبر. فهو يتقن عدة لغات ويتكلم مثل انسان مثقف ومرهف، لكنه لا يبدو شغوفاً بمهنته الحالية. بامكان الليدي اوغوستا ان تساعده، فهي متأكدة من ذلك. خالتها على استعداد دائم لنجدة الشباب الضائعين اذا كانوا وسيمين وجذابين. المفروض بها ان تعرّفه عليها... هكذا ربما تنجح في الاتصال به؟ أجابت بسرعة:

ـ في الواقع، ليست ضيقة الذهن... ولها تأثير كبير...

رفع مايك حاجبيه بسخرية، كأنه عرف ما يدور في أفكارها. لم تبال بردة فعله، فأضافت:

ـ ستكون سعيدة جداً ان تشكرك و... وتبرهن لك عن عرفانها. عندما تعود الى القاهرة، بامكانك ان تمر الى الهيلتون و...

ـ يا الهي، لا!

ثم انتبه الى خيبة الفتاة، فأضاف يقول:

ـ أشكرك لهذه الدعوة. للأسف الليدي اوغوستا وفندق الهيلتون

ليسا ما أفضله.

ابتسمت لورنا وقالت:

ـ حتى ولو كنت أنا أقيم في الفندق مع خالتي؟

ـ طبعاً، هذا الأمر يغريني... اذا جئت الى الحي، فربما سآتي لزيارتك.

لكنه قال هذا الكلام بصورة آلية جرحت مشاعرها وعرفت انه لن يمر ابداً. كان في نيتها ان تعطيه حجة كي يتصل بها. ولو بواسطة خالتها، لكنه لن يفعل ذلك وهذا ما عبّر عنه بوضوح. ربما هو منزعج الآن بوجودها هنا؟ هل سيشعر بالارتياح عندما يتخلص منها في صباح الغد؟ اذا كان ذلك صحيحاً لماذا بقي طويلا في الخيمة؟... في الظاهر تبدو ملامح وجهه كأنها تعبّر عن اهتمام خاص تجاهها. ومع ذلك لم تنجح في التأثير عليه. انها المرة الأولى التي ترغب فيها باثارة رجل. انه يحيّرها وتريد ان تعرفه اكثر.

وبينما كانت تحاول السيطرة على انفعالها، تناول مايك دواء لقتل الحشرات ورشّ به الحشرات الطائرة التي تحيط النور وصرخ قائلا:

ـ تبّاً لهذه الحشرات المزعجة!

تطايرت الحشرات وبعضها لقي حتفه وسقط على الأرض، فوضع مايك فوقها قليلا من الرمل. كانت حركاته عنيفة كأنه يريد التخلص من ضغط داخلي، فاشمأزت الفتاة من رائحة الدواء وعطست بعنف، فقال لها مايك:

ـ الرائحة كريهة لكنها ستختفي بسرعة.

كانت قد وضعت الصينية قرب السرير، فوضع مايك فوق ما تبقى من الطعام مناشف من الورق ثم قال:

ـ ... هذا ما يجذب الحشرات.

اعتقدت انه سيغادر الخيمة، لكنه راح يذرع أرضها الضيقة، ذهاباً واياباً، من دون ان يتخذ قراراً بالرحيل. اما هي، فلم تكن تريده ان يذهب، خاصة انها كانت متأكدة من انه لن يغط لها جفن قبل وقت طويل. استراحت في جلستها باحثة عن موضوع جديد للحديث وسألته:

- هل سبق ومثلت مع الآنسة روزيني؟

- يا ابنتي العزيزة، الممثلات البطلات لا يتنازلن الى مستوى الممثلين البدلاء!

بدا كأنه مصدوم، ثم ابتسم وقال:

- على الأقل، من الناحية الرسمية. روزينا تستعملني كالآخرين.

- آه!

اذن هناك شيء ما بينهما... لكنها لم تحب لهجته في هذا الأمر. أنها تستعمله! ماذا يقصد بهذا الكلام بالضبط؟ كان مايك يراقبها وفي عينيه بريق ساخر:

- طلبت مني التدرب على نصها، وتمرّنا معاً على مشاهد الحب... هنا في هذه الخيمة.

كادت لورنا ان تقفز من السرير. لكنها تمالكت نفسها واشتبكت نظراتها بنظرات رفيقها الساخرة وشكت بأمره لأنه يحاول ان يمرضها. فقالت بلهجة خفيفة:

- اذن أنت لست بحاجة لجلسات الاتقان والتحسين.

- ربما فكرت ان أعطيك دروساً... كي اشفيك من الكره الذي تشعرين به كلما لمسك احد...

اجتاز وجهها تعبير مخيف. انهما وحيدان الآن... ولم تعد تعرف اذا كان في امكانها ان تثق به بعد هذا الكلام المباح. فقال:

- لورنا، انا أناكدك.

- لكن ذوقك سيء للغاية.

سرحت في أفكارها وتذكرت الممثلة البطلة وكيف بدت لها على الشاشة، بفمها الكبير وعينيها الكبيرتين اللماعتين. أي رجل يفرح ان يلعب مشاهد الحب مع هذه المرأة! فقالت:

- روزينا روزيني امرأة شديدة الجمال.

فأجابها مايك بشرود:

- لكنها ليست النوع الذي أحبه.

لم تصدق لورنا كلامه، اذ قالت:

- الظاهر انك انسان صعب... قل لي... كثيراً ما تساءلت ما اذا كان الممثل الذي يلعب مشهد حب، يتقمص الشخصية كلياً. هل يمكنه ان يشعر تماماً بأن المرأة التي يمثل معها هذا المشهد هي فتاة أحلامه وامرأة مستقبله؟

قال مايك بعنف:

- احياناً، يكرهها!

أطلق ضحكة أمام اندهاش الفتاة وأضاف:

- ... التمثيل، يا لورنا، هو تصنّع، والعواطف الشخصية لا دخل لها فيه. يقول المخرج للممثل ما يجب ان يفعل وهذا الأخير ينفّذ ما طلب منه قدر امكانياته. ويصبح التمثيل عملية آلية بفضل التكرار... لكن لا يمكنني ان أؤكد لك ذلك حتماً، ذلك لأن البهلوان البديل نادراً ما يشترك بهذا النوع من المشاهد... اذا اصبحت يوماً ما ممثلاً كبيراً، ربما استطيع حينذاك ان أرد على سؤالك بطريقة أفضل.

- لا شك انه من الصعب اظهار صدق المشهد للجمهور اذا كان

الشعور الحقيقي معدوماً، أليس كذلك؟

أجابها مايك بجفاف:

- بالنسبة الى برازيني... لا يقلق الا حين لا يصوره المخرج مباشرة، أي عندما لا تكون اللقطة التصويرية موجهة اليه بصورة خاصة.

- لم أكن أقصد الكلام عنه.

- غير انه الممثل النموذجي.

بدا واضحاً الآن انه يسخر منها فقال:

- الظاهر انك لا تعرفين شيئاً عن السينمائيين ومن يعملون في الفن السينمائي.

اقترب منها وراح يتأملها مطولا بعينيه اللماعتين، ثم قال:

- أنا، لست مثل برازيني ومن الصعب عليّ عدم مغازلة فتاة جميلة. بامكاني ان أضمك اليّ بشغف وأقنعك بانك المرأة الأكثر جاذبية في العالم.

- آه، لا!

هذا الحديث أيقظ فيها أحاسيس لن تتمكن من مقاومتها طويلا.

احمرّت وجنتاها وخبأت وجهها بين يديها. فقال:

- كما تلاحظين... هذه الفكرة البسيطة كافية لأن تثيرك. الظاهر انني ممثل أفضل مما كنت أتصور. والآن، بما اننا بصدد تحليل ردات فعلك العاطفية... ارفعي رأسك... هل كنت فعلا غائبة عن الوعي، عندما حملتك على حصاني؟ ألم تشعري شيئاً بين ذراعي؟

التهبت خدّاها لمجرد تذكر هذه الأحاسيس. لم ترد على سؤاله اذ شعرت فجأة تجاهه بالحقد الكبير. انه رجل معجب بنفسه، متعجرف وكريه! لكنها لم تتمالك في المحافظة على الصمت، اذ

قالت:

- في كل حال، انت لم تشعر بشيء أليس كذلك؟

اشتبكت نظراتهما لحظة، ثم قال من دون مبالاة:

- لن تتوصلي الى معرفة ذلك.

فاشتدّ غضب الفتاة وقالت:

- ليس من عاداتي ان اتحمس تجاه الممثلين الجذابين!

- وأنا لم اتصورك هكذا ايضا. لكني لن أصبح ابداً ممثلا في حياتي ولن تظلي انت كل حياتك مثل قطعة الثلج! سيأتي اليوم وتلتقين بالرجل الذي سيولع نار الحب فيك.

- وبالتأكيد، لن تكون أنت هذا الرجل!

أرادت ان تجرح شعوره وعزة نفسه، لكن نظراته ظلت تعبر عن مزيج من الأسف والحزن. فقال:

- للأسف، أنت على حق. عليّ ان استغني عن هذا الحظ النادر.

ثم نظر الى ساعة يده وهتف قائلا:

- يا الهي! الساعة متأخرة وأنا أقول تفاهات وأنت لا شك تستعدين للنوم!

- لا أشعر بالنعاس انما وجدت تفاهاتك مسلية.

تنهد بثقل وقال:

- يجب من وقت الى آخر ان يغيّر الانسان نظام حياته وينوع قراراته. وأنت ستشعرين بالعزاء لأنني سأصرّح لك بأنني أحببت... هذه المناقشة.

- في هذه الحال، فقد تسلينا معاً تماماً. وأنا آسفة لأنني جعلتك تسهر الى هذه الساعة المتأخرة من الليل. ستعمل باكراً في الغد، على ما أظن.

- لقد سبق وقلت لك بأنني لا أنام قبل منتصف الليل مهما اضطررت ان أستيقظ باكراً. أنا عصفور ليلي... اما انت فلست مرغمة لأن تستيقظي باكراً مثلنا، اذا ما كنت ترغبين في النوم حتى ساعة متأخرة من الصباح. سأذهب الآن لرؤية السيدة بلامر وسأطلب منها ان تعيرك قميص نوم. كما سأجلب لك بعض الماء للاغتسال.

تردد قليلا كأنه انزعج ثم قال:

- هذا مصباح للجيب... احذري العقارب.

استرخت قليلا لأن مايك بدأ يتصرف تجاهها بلطف. ثم قالت:

- شكراً. لكنك لست مضطراً ان تهتم بي أنت بالذات.

- الا تجدينني فعّالا وايجابياً.

ابتسم ثم أضاف يقول:

- لا يمكنني ان أثق بأحد غيري لمساعدتك.

تناول الصينية وخرج.

نهضت لورنا من السرير، فما زالت تشعر بالضعف. انتعلت حذاءها وأمسكت المصباح ورفعت جانب الخيمة. لاحظت ان المخيّم يقع في تجويف محاط بالصخور وتلال الرمل. بعض الأنوار تلمع هنا وهناك مثل الحباحب. لكن خيمة مايك كانت على حدة نسبة الى الآخرين. من وقت الى آخر كانت تسمع الضحكات أو الموسيقى. بعض الأحصنة المربوطة بالأوتاد تخشخش بسلاسلها.

ابتعدت لورنا قليلا عن الخيمة خوفاً من العقارب. ولما عاد مايك كانت قد عادت الى الخيمة. كان يحمل وعاء كبيراً من البلاستيك وابريق ماء ساخنة ومنشفة وصابونة وقميص نوم من قماش النايلون. سحب حقيبته من تحت سريره وأخرج منها مئزراً وبابوجاً وقال:

- ربما وجدت البابوج واسعاً، لكنه سيكون مفيداً لك فيما اذا سمعت انذار الخطر في الليل.

- ماذا؟ هل هناك انذار خطر؟

- ليس دائماً. لكن في هذه المنطقة بالذات نتوقع حدوث أي شيء. هل لديك كل ما تريدين؟

- نعم، شكراً.

كانت تريد مشطاً او فرشاة شعر لكنها لا تريد ازعاجه. لكنه فطن للأمر فجأة وسحب من جيبه مشطاً وقدّمه لها بابتسامة ساحرة قائلا:

- انه نظيف.

- آه... شكراً! لكل شيء.

- آه، لم تكفي لحظة عن شكري. الفاتورة ستكون مرتفعة...

رفعت وجهها نحوه وقالت:

- هل تريد دفعة على الحساب؟

بدا مندهشاً ولمعت عيناه وقال:

- ما دمت كريمة، لم لا؟

جذبها اليه بنعومة في بادىء الأمر، ثم بشدة. وشعرت لورنا بالدم يغلي في جسمها وبأحاسيس غريبة تستيقظ في داخلها. فجأة دفعها عنه بعنف وقال:

- لا تدفعيني لارتكاب أمر جنوني...

نظر اليها معاتباً وأدار ظهره قائلا:

- سيهتم البرتو بك صباح الغد فيحضر لك فطور الصباح ويدلك على مكان سيارتك. لن تضلي الطريق هذه المرة لأنها ستكون سهلة. لكن لا تذهبي في ساعة متأخرة، لأن الطريق طويلة.

- وأين تكون أنت حينذاك؟

- في مكان التصوير. وكما سبق وقلت لك سنبدأ التصوير في الفجر.

- اذن لن أراك بعد الآن؟

- كلا، لا أظن. أتمنى لك ليلة سعيدة وعودة سليمة.

أرادت ان تشكره ايضا، لكنه قاطعها قائلا:

- . . . لقد وفيت جميع ديونك.

وضع اصبعاً على فمها وقال:

- نامي جيداً.

وخرج. نظرت لورنا حولها وشعرت بأنها مهجورة.

٣- الممثلة الرئيسية، بطلة الفيلم

نامت لورنا فوراً. وكان الظلام ما يزال منتشراً عندما استيقظت من نومها. لكنها سمعت حركة قوية تسيطر على المخيّم. وفكرت بأسف بأن مايك سيرحل عمّا قريب. تعرفا الى بعضهما بطريقة غريبة وسريعة وتبادلا معاً المواضيع الحميمة. وانتهى اللقاء بعناق. . . لم يسبق ان تصرفت لورنا بهذه الطريقة من قبل! لقد أيقظ فيها مايك فافرشام أحاسيس عميقة لم تشك أبداً بوجودها. لكنه بلا ريب ذهب الآن ولم يعد لها أي حظ في علاقة جميلة معه.

فجأة حل النهار ودخل الى الخيمة رجل قصير وسمين، له لحية سوداء، حاملا في يده فنجان شاي وابريق ماء ساخنة. وقال بالايطالية وبابتسامة عريضة:

- صباح الخير، يا آنسة. هل تريدين فنجاناً من الشاي؟

ولم ينتظر ردها اذ وضع الفنجان على الطاولة قرب السرير ورفع باب الخيمة بغية ادخال الضوء والهواء النقي. ثم أطفأ المصباح الذي بقي شاعلا طوال الليل لأن لورنا لا تحب العتمة الكاملة. ثم أخرج وعاء الماء وأفرغه خارج الخيمة ونشفه بمريوله ووضعه من جديد على الكرسي الصغير ووضع بجانبه ابريق الماء الساخنة. لا شك ان هذا الرجل هو ألبرتو الطاهي، الذي لم يكن يتكلم الانكليزية ولا هي كانت تعرف الايطالية. بدا مضطرباً وقال فجأة:

- الحادث الأليم! يا للأسف، يا للأسف!

لم تفهم الفتاة شيئاً. لكنه مدّ يده الى الخارج وقال بالايطالية ايضا:

- فطور الصباح.

ثم اختفى.

نهضت لورنا من سريرها وغسلت وجهها ويديها. ثم ارتدت فستانها الأبيض متأسفة على حالته الرديئة. لكن ما العمل، فليس بوسعها ارتداء غيره ما دامت لا تملك الا هذا الثوب، في الوقت الحاضر. سرّحت شعرها الذي كان بحاجة الى غسيل لشدة امتلائه بالرمل. لكنه ما زال ينسدل على كتفيها بنعومة. ثم خرجت.

اندهشت لرؤية عدد كبير من الناس داخل المخيم. بعض التقنيين يرتدون السراويل القصيرة ويلعبون الورق تحت المظلات. مصريون يحضّرون الأحصنة استعداداً للسفر. ظهر البرتو من بينهم وعرفت من تعبير وجهه انه كان بانتظارها فقادها الى خيمة كبيرة مستطيلة رفعت أطرافها، حيث الطاولات الطويلة ممدودة وعليها الشراشف البيضاء. في احدى الزوايا جلس أمام الطاولة مجموعة من

الرجال يحتسون القهوة. وعلى طرف آخر صحن وسكين وشوكة وملعقة وفنجان. أشار اليها البرتو بالجلوس ثم جلب لها القهوة والخبز المحمص والزبدة والمربيات وبعد ذلك اختفى.

بخجل جلست لورنا مكانها، فلم ينتبه لوجودها أي من الرجال. سكبت لنفسها فنجان قهوة ثم توجهت نحوهم. ولشدة اندهاشها رأت مايك بينهم. كان واقفاً خلف المجموعة من دون ان يشترك بنقاشهم الحماسيّ. كان يرتدي قميصاً قطنياً وسروالاً قصيراً. وخلافاً للآخرين كان قد حلق ذقنه.

الرجل الأسمر الذي يرتدي ثوباً شرقياً لا شك انه ماريو برازيني والذي بجانبه، ربما كان بوب هايلي، المخرج. انه شاب قصير وسمين يعتمر قبعة من قش.

رفع مايك عينيه وشاهد لورنا، فاقترب منها بهدوء مشيراً بيده علامة استقبال وقال:

- ما زلت هنا. لدينا ظرف طارىء، للأسف. حصل حادث للآنسة روزيتي وكسرت رجلها.

- آه! أنا آسفة لذلك.

غير ان مايك لم يكن يبدو عليه الانفعال فقالت:

- كيف وقع الحادث؟

رفع كتفيه وأجاب:

- أنت تعرفين جيداً حركة السير في القاهرة. بوب غاضب منها كثيراً لأنها تغيبت عن المخيّم من دون اذن مسبق. لقد سبق ونبهها الا تتغيب خاصة ان الممثلة البديلة مريضة. والمشكلة التي تعترضنا الآن هي التالية: هل يجب علينا ان نرحل من هنا او نحاول ايجاد بديلة أخرى؟ في الحالتين سنتعرّض لتأخر كبير. وكل لحظة تأخر تكلف

الشركة مبلغاً ضخماً.

- الظاهر ان الخلاف وقع. وأرى ان الجميع هنا غير متفقين.

كان ماريو برازيني يلوّح بيده ليلفت انتباه مايك.

- آه، ماريو مستعجل للعودة الى العاصمة. لكن بوب ينتظر رأي المنتج ايفانس، فهو المسؤول عن أخذ القرار النهائي وعن الميزانية. كان يعتقد ان التصوير قد أشرف على نهايته، لذلك غادر المكان مساء امس.

نهض برازيني وأدار ظهره للمخرج وهو يهزّ كتفيه بغيظ. رأى لورنا، فتقدم من مايك وقال:

- اذن... هذه هي الفتاة الجميلة التي أنقذها فافرشام من الصحراء!... هذا أمر مثير للعاطفة وشديد الرومنسية...

وأجابت بلهجة باردة:

- لقد وصل في الوقت المطلوب.

- ثم تقاسم خيمته معك!

- آه، لا!

ألقت نظرة سريعة نحو مايك الذي أسرع بالقول:

- طبعاً لا! لقد نمت تحت ضوء القمر كما هي عادتي غالباً.

تأسفت لورنا وقالت:

- مايك! بسببي أنا نمت في الهواء الطلق، أليس كذلك؟

قال ماريو ساخراً:

- لكنه قال لك الآن ان من عادته النوم في الهواء الطلق. هكذا تأتي الجميلات المحليات ليهمسن في أذنه الكلمات الحلوة.

- انتبه يا ماريو! أنت تكذب الآن وتعرف ذلك تماماً!

أطلق مايك ضحكة عالية وأضاف:

- في الحقيقة من يهمس في أذني ليس سوى السائسين المحتجين. فهذه فرصتهم الوحيدة ليروني وحدي. ربما السيد برازيني لا يرى جيداً لا شك انه يعتبر جلّابيات الرجال كثياب النساء!

- نظري لا تشوبه شائبة. طبعاً لا أحد بامكانه ادارة الموظفين مثلك...

كان ماريو يتصرف بعدائية ارادية. فالرجلان لا يستلطفان بعضهما، كما يبدو. شعرت لورنا بالارتياح عندما رأت بوب هايلي يقترب منهم. وقال في الحال:

- اذن؟ أنت الدمية التي جاء بها مايك الى هنا؟ هل انت على ما يرام؟

مدّ يده الرخوة الطويلة وسلّم على الفتاة التي بدأت تقول:

- أنا متشكرة له كثيراً.

لكنه لم يكن يسمعها اذ رأى فتاة طويلة نحيلة تأتي صوبه. انها جيسي، مساعدة المخرج. فسألها بوب:

- اذن هل تمكنت من الاتصال بها؟

أشارت برأسها سلباً وقالت:

- لا أحد يعرف أين بامكاننا ان نتصل بها.

أطلق المخرج شتيمة وقحة وحكّ رأسه وقال:

- عليّ الآن ان أحل جميع المشاكل بنفسي. وكل ما سأفعله سيكون سيئاً. جيسي، عزيزتي، لو تملكين رأساً يفكر، لتمكنت من انقاذ حياتي!

ظهر الرعب على الفتاة، اذ قالت:

- آه، لا يا سيد هايلي، أنا لا أتقن ركوب الخيل! كما أشعر تجاهها بخوف كبير!

- في كل حال، ليس منظرك مقبولا.

استدار نحو مايك وقال:

- كان بامكاننا ان ننهي التصوير اليوم. وهذه المجنونة، اما كان بامكانها ان تنتظر حتى نهار الغد لتكسر رجلها.

اشفقت لورنا على روزينا روزيتي. لا أحد يبالي لما حدث لها بل يفكر الجميع فقط بالتأخير الذي طرأ على التصوير. لكن، اذا كانوا فعلا بحاجة الى فتاة... أسرعت في القول:

- هل تبحثون عن فتاة لتلعب دور الممثلة البديء مكان الآنسة روزيتي؟

- نعم، فقط من أجل اللقطات الجماعية. ستصور اللقطات المباشرة في الاستوديو حتى ولو كانت رجلها في الجص. وأنا بحاجة لفتاة الآن، في الحال.

- هل بامكاني ان أكون تلك الفتاة التي تبحث عنها؟ أنا أعرف ركوب الخيل.

- أنت؟

تأملها بوب بعين ناقدة وقال متلعثماً:

- ... هم... هم... أنت تلبسين الدور تماماً... يا آنسة!...

ابتسامة عريضة أنارت وجهه فأضاف يقول:

- أنت ملاك نزل من السماء لانقاذ بوب المسكين!

تدخّل مايك في الحديث وقال:

- هذا أمر مستحيل. الآنسة ترافيرس هي ابنة أخت الليدي اوغوستا. اذا عرفت خالتها بهذا الأمر، فسنطرد جميعنا من هذا البلد.

قال بوب ملاحظاً:

- لن ندع خالتها تعرف بالأمر. فلن نذكر اسمها في مقدمة الفيلم. ستعتمرين باروكة سوداء. ومن بعيد سيعتقد الجميع انك روزينا روزيتي بالذات.

قاطعه مايك بصوت قاس:

- بوب! لن اسمح لك بذلك! لقد عانت الآنسة ترافيرس من ضربة شمس قوية. ومن الخطر على صحتها ان تبقى طوال النهار في الهواء الطلق معرضة للشمس الحارة.

- لكنني أشعر الآن بتحسن كبير.

- أنت لا تعرفين ماذا ينتظرك...

- وأنت، يا مايك، لا تتدخل بشؤون الغير! بدأت تعتبر نفسك جدياً! أنا هنا المدير! سيفحصها الطبيب. ربما بامكانه ان يصف لها حقنة. لن أدع هذه الفرصة تفوتني. انها موافقة وهذا أهم ما في الأمر.

قام مايك بمحاولة أخيرة، اذ قال:

- لا أعارض عن سوء نية. غير ان الآنسة ترافيرس ليست معتادة على هذا النوع من التمارين وخالتها بانتظار عودتها اليوم الى القاهرة.

قالت لورنا فجأة:

- آه! لن تقول شيئاً! بالعكس، ستكون مسرورة لأنني سأقوم بخدمة لكم. فأنا مدينة لكم كثيراً.

ماريو، الذي كان يراقبها بامعان، تدخل في الحديث فجأة وقال:

- هل تعرف، يا بوب، انه ربما بامكاني ان ألعب هذا المشهد بنفسي، من دون بديل... لكن عليك ان تعطيني حصاناً هادئاً. أنا

البطل وبامكاني مساعدتها.

رمقه مايك بنظرة اشمئزاز وقال:

- برازيني، ستقع عن الحصان قبل ان تقترب منها!

انتفض ماريو كديك غاضب وقال:

- يا لك من انسان وقح! أرجو ان تدعوني منذ الآن السيد برازيني.

تدخل بوب في الحديث المحتد قائلا:

- انتبها. . . هذا المشهد بحاجة الى براعة قوية، يا سيد برازيني. ولذلك جئنا بمايك ليلعب دور البديل.

ابتسم للفتاة وأضاف:

- الفرقة جميعها ستكون متشكرة لك، يا آنسة ترافيرس.

قال مايك ساخراً:

- ستكون متشكرة لك الى الأبد!

أخذ لورنا جانباً. وقال:

- لا أحد يحق له ان يرغمك على التمثيل. ارجوك، لا تقبلي.

- لكن، لهم كل الحقوق!. . . ما الذي عقصك، يا مايك؟ انه من مصلحتك أنت أيضا، اذا أردت ان تنتهي من التصوير اليوم.

قاطعها بوب قائلا:

- أنت، يا مايك! اياك ان تحاول تغيير رأيها!

نظر بوب نحو التقنيين وقال:

- انظروا اليهم! لا يعملون الآن شيئاً ويقبضون معاشاتهم! هيّا بنا!

همس مايك قائلا:

- لورنا أنت لا تعرفين ماذا ينتظرك.

- أنا أقوى مما أبدو. . . ولقد وعدت. . . ولن أرجع عن كلامي.

- كما تريدين!

فجأة احتلّ الشك قلب الفتاة. فالتفتت نحو بوب وقالت:

- لكن، لم يسبق لي ان مثلت من قبل. . .

- ليس هذا ضروريا. عليك ان تدافعي قليلا عن نفسك عندما يقترب منك. هل تفهمينني؟ لقد هربت من قصر الفارس وجاء يبحث عنك ونجح في العثور عليك. القصة تشبه كثيراً المغامرة الصغيرة التي تعرضت لها بالأمس، على ما أظن.

احتج مايك قائلا:

- غير انني لم أضربها. ولن أفعل ذلك الآن.

قال ماريو ساخراً:

- انها فرصة ستفوتك، يا للأسف. . .

أمر بوب قائلا:

- كفى! هيّا بنا!

بدا المخيّم كأنه انتعش من جديد. المصورون أحضروا آلاتهم، والأحصنة أصبحت حاضرة وسيارات الجيب تسير في معظم الاتجاهات. ذهب الوفد باتجاه منطقة سهلة، ما وراء التلال.

أعطت السيدة بلامر قميصاً الى لورنا وسروالا لركوب الخيل وأحذية عالية وباروكة سوداء. ولما رآها بوب أعلن موافقته التامة اذ قال:

- عظيم. . . البزّة تليق بك. الباروكة ضرورية لاخفاء لون شعرك. تعالي معي في سيارتي. الأحصنة ذهبت لتوها.

وخلال الرحلة الصغيرة، سألته لورنا قائلة:

- يا سيد هايلي، لا أريد ان أنتقد عملك، لكن سيناريو فيلمك بالي العهد، أليس كذلك؟

- الموضوع بالي العهد كما تقولين، لكنه يعجب النساء. كما ان ماريو برازيني وروزينا روزيتي اسمان لامعان في عالم السينما ويجذبان الجمهور الواسع.

لم تر مايك الا عندما وصلت الى مكان التصوير. كان رائعاً ببزته العربية وقميصه المطرّزة وجلابيته الواسعة وعمامته البيضاء وحزامه المليء بالمجوهرات البراقة. العقال يخفي جزءاً من وجهه وعنقه. ومن السهل اعتباره ماريو بالذات. نظر الى الفتاة بتفحص وامعان وقال:

- آسف أن أرى شعرك الجميل وراء هذه الباروكة السخيفة.

- لا بأس. فما زال شعري في مكانه. لكن أشعر بالحر. مايك، لم افهم بعد لماذا كنت لا تريدني ان أصوّر هذا المشهد.

- لا أريد ان أراك تقللين من قيمتك.

- لكنني لن أكون هكذا! انها لعبة سألعبها.

- طبعاً، يا لورنا. لكنني سأكون مضطراً الى التصرف بعنف معك، وأنا آسف لذلك. على تمثيلنا ان يكون مقنعاً.

أجابت وهي تضحك:

- بالطبع. لكنني متأسفة للرضوخ الذي سأتعرض له وللبقع الزرقاء. حاول ان تكون ناعماً قدر المستطاع.

ولما شرح لها بوب ما عليها ان تفعله، شعرت ببعض الخوف. قال لها ان حصانها سيلقى حتفه بينما هي عليه باعتبار ان الرجل القاسي الذي سيلاحقها سيقتله وعليها ان تسرع في الركض، لكنه سيلتقطها ويحملها ليرميها على حصانه. عليها ان تجاهد وتتخبط الى ان يتمكن من السيطرة عليها.

ثم قال لها:

- حاولا ان تمثلا كما يجب، فلا يسمح لنا الوقت والمال ان نأخذ

عدة لقطات.

المشهد الذي قام به مايك بقتل الحصان انتهى بسرعة. انها خدعة سينمائية ذكية. في المشهد تظهر لورنا وهي تخيّل فوق الحصان وترغمه على الاسراع وهي تجيل النظر حولها! هنا سيدخل المخرج داخل المشهد بعض اللقطات المباشرة لروزينا وهي مرتعبة. ثم يطلق الفارس النار. وبعد ذلك أخذت لقطات للحصان وهو ممدد على الرمل ولورنا تبتعد عنه متعثرة.

والمشهد التالي كان أكثر صعوبة. قبض مايك عليها وكان عليه ان ينحني ليحملها ويضعها أمامه فوق الحصان. اضطرا ان يعيدا التمثيل عدة مرات قبل ان يقتنع المخرج بايجابية المشهد. لم يكن مايك ناعماً، وملأت الكدمات الزرقاء جلد الفتاة. لتصبح فوق الحصان امامه عليها ان تتخبط. كل هذا يتم من دون كلام. شعرت لورنا بالضياع. اصبح مايك متوحشاً ومن دون شفقة. حتى وجهه تغير. ولم يكف بوب عن الصراخ في مكبر الصوت قائلا:

- تخبطي بعنف. عليك ان تظهري انك غاضبة ويائسة!

فصرخ مايك قائلا:

- يكفي اليوم! فهي لم تعد قادرة على اكمال التمثيل!

تركت لورنا نفسها تتأرجح، رخوة بين ذراعيه بينما أكمل الحصان الاستدارة حول نفسه.

جاء ماريو ليرى كيف يتصرف بديله. كان حالقاً ذقنه ويرتدي بزة بيضاء ناصعة وقف قرب بوب الذي لم يجرؤ على طرده، ثم قال للمخرج:

- انت تضيّع وقتك. الفتاة مثل دمية من قماش واذا كان مايك فارساً ماهراً فهو ليس ممثلا

أعلن بوب قائلا:

- سنأخذ لقطة. هيّا، استعدا.

نظر مايك الى ماريو واشمأز من نظرته الوقحة، فضغط على لورنا محنياً وجهه فوق وجه الفتاة وقال:

- هيا، يا لوح الثلج. دعيهم يرون قليلا الدم الذي يغلي في جسمك الرائع!

عانقها بانفعال كبير، فشعرت لورنا ان قلبها توقف عن الخفقان، كأن الاحساس نفسه، الذي شعرت به، بالأمس عاد من جديد. احست برغبة قوية، ففتحت فمها لتلبي طلب مايك. فجأة تذكرت انه يمثل... من بعيد كان ماريو وبوب يراقبانها. احتلها الغضب بعنف. وبيدها الطليقة صفعته على وجهه. واذا به يسمّرها مكانها. فأحست بجرح في كرامتها، فراحت تتخبط، فريسة ثورة عنيفة.

شعرت بالاشمئزاز لما فعلته خاصة ان الجميع ينظرون اليها. لو كانت قادرة ان تقتل مايك لما ترددت.

وببطء أكيد، تمكن من ترويضها والسيطرة عليها، تاركاً للكاميرا ان تسجل خضوع الفتاة. وبهذا التمرد الأخير، غرزت الفتاة أسنانها في معصمه، فأطلق شتيمة. ثم لفّ الفتاة بطرف جلابيته، وولى مسرعاً على حصانه.

ولما خرج من حقل التصوير، خفف من سيره، وأرخى قبضته على الفتاة وأزاح العباءة عن وجهها، ثم توجه نحو مجموعة التقنيين قائلا لها:

- خذي نفساً عميقاً...

فجأة شاهدت بقع الدم على قميص مايك وشعرت بارتياح غامض. فابتسم قائلا:

- كنت تتخبطين بقوة. لكن لا شك ان بوب فرح لنجاح هذه اللقطة.

خسرت كل عزة نفسها، من أجل ارضاء مخرج سينمائي!

- دعني أهبط، من فضلك!

- أمامك متسع من الوقت. هل تنوين ان تسيري كل هذه المسافة على قدميك؟

تغيّرت نبرة صوته وأضاف يقول:

- لقد حذّرتك.

أخفضت رأسها وقالت:

- لم أعرف ان...

بلعت كلماتها لأنها شعرت بأنه لا فائدة لتبرير موقفها معه عندما فقدت كل سيطرتها وهي بين ذراعيه. حتى الآن، وفي هذه اللحظة بالذات، كانت تعي إلفة وجوده وكانت تتألم لذلك. لم تكن تتوقع هذه الرغبة القوية التي نبعت من داخلها. لكن مايك ما ان انتهى من دوره حتى أصبح بلا مبالاة.

- عظيم!

تقدم بوب نحوهما مبتسماً، بينما كان مايك يحاول ايقاف الحصان ومساعدة لورنا على الهبوط.

- يا عزيزتي، لقد انقذت حياتنا! نحن...

قاطعه مايك ساخراً ومكملا ما كان بوب بصدد قوله:

- ... نشكرك الى الأبد!

التفت بوب نحو ماريو الذي كان يتأمل الفتاة بشوق وقال له:

- من الأفضل ان تأخذ حذرك من مايك، يا صديقي. فباستطاعته ان يتفوق عليك!

اجاب ماريو قائلا:

ـ يجب ان يكون المرء من صخر تي لا ينفعل أمام هذه الفتاة الشابة. لو كنت ألعب مكان مايك لفعلت أفضل من ذلك بكثير!

نظر الى لورنا مطولا، فشعرت بانزعاج. هل اغتنم مايك هذه الفرصة ليظهر مواهبه وامكاناته، على حسابها؟ ألم يقل لها ذلك بالأمس؟ نعم نجح في التأثير على المخرج...

شاحبة الوجه وصامتة، تتجاهل تهاني التقنيين، اذ كانت تشعر بالعار والاهانة. لم تعد قادرة على النظر في وجه مايك وفهمت في الحال لماذا أراد ان يمنعها من تصوير هذا المشهد. انه ما زال يمتطي حصانه كالزعيم الكبير، ينعم بالامتنان لنجاحه في التمثيل. أعلن بوب قائلا:

ـ أخيراً، انتهينا من التصوير الخارجي.

قال ماريو، وهو يبدو قاتم الوجه:

ـ بالنسبة الى هذا المشهد الذي لا يحتوي على لقطات مباشرة، أعتقد انه طويل للغاية.

سأله بوب وهو ينظر الى المصور بعين متآمرة:

ـ هل أنت متأكد من ذلك؟

ـ يا الهي! هذا أمر بديهي!

ـ أبداً! اذا أغفلنا اظهار العيون، فبامكان مايك ان يبدو أنت بالذات. لقد صوّرنا الفتاة وهي تغرز أسنانها في معصم الفارس.

انتفضت لورنا ورفعت عينيها نحو مايك ولمحته يبتسم بسخرية. اذن هذه اللقطات المصورة ستقدم الى ملايين المشاهدين ويبدو على وجه مايك انه فرح للغاية لأنه عرف استعمال طريقته الخاصة لانجاح هذا المشهد.

نزل عن حصانه وقال:

ـ حسناً. ما دام التصوير انتهى، سأعيد الآنسة ترافيرس الى المخيم. يبدو الارهاق على وجهها، اذ كان الأمر صعباً عليها.

وافق بوب وهو يلمح شحوب وجه الفتاة وقال:

ـ نعم، رافقها وقدّم لها شراباً منعشاً... سندفع للممثلين الصامتين في المساء، يا مايك، وسنحتاج الى مساعدتك.

ـ سأكون حاضراً في الوقت المطلوب.

أوقف السائق سيارته على بعد أمتار قليلة من الخيمة. نزلت لورنا بسرعة رافضة يد مايك الممتدة نحوها. فقال مايك للسائق:

ـ اجلب لنا المشروبات المنعشة، من فضلك.

دخلت الفتاة الى الخيمة. اما مايك فظلّ خارجاً. راح يخلع جلابيته وعمامته وحزامه. رماها في سيارة الجيب قبل الدخول الى الخيمة. لقد قام بعمله على افضل وجه، ولم يفهم جيداً ردة فعل الفتاة.

نظر الى المنديل المربوط حول معصمه وابتسم. هذا المشهد لم يكن مخططاً له في السيناريو. كيف بامكان هذه الفتاة المحافظة ان تتصرف بهذا العنف والوحشية؟

٤- العتاب المر يتبعه ظهور انيتا اورمان

جلست لورنا على سرير المخيم وعقدت يديها. على الوسادة، فستانها وسترتها، غسلتهما السيدة بلامر. كانت العتمة تعمّ داخل الخيمة نسبة الى النور القوي في الخارج. وجهها كان شديد الشحوب. وقميصها المبلل عرقاً ملتصقاً بكتفيها النحيلتين وبصدرها.

رفعت عينيها نحو مايك عندما دخل الى الخيمة. وللحال تذكرت الاهانة التي تعرضت اليها. وبحركة سريعة أرادت ان تخلع باروكتها، لكنها لم تنجح بذلك. أسرع مايك يقول:

- دعيني أساعدك.

جلس قربها ولمست أصابعه عنقها فصرخت:

- لا!

أدارت وجهها بعنف. ارتعاشة جميلة اجتازت خيالها. لم تعد تريد هذه الأحاسيس المدوّخة.

- لكن يا لورنا، ستؤذين نفسك اذا واصلت الشد عليها بهذه الطريقة. من الأفضل ان تدعيني أساعدك على خلعها.

لم تحتج. وبنعومة كبيرة انتزع مايك الباروكة ورماها أرضاً. ثم مرر أصابعه في خصلات شعرها المنسدل من جديد على كتفيها.

التفتت اليه ورأت في عينيه الزرقاوين بريقاً موحشاً وقالت:

- والآن، ماذا تريد؟ هل جئت الى هنا لتنهي المشهد الذي بدأته وقت التصوير؟

أجاب بهدوء قائلا:

- يا ابنتي العزيزة، هذا آخر شيء أرغبه.

أمام هذا الرد اشتد الجرح لكرامتها. هذا الرجل لا يعتبرها امرأة بل دمية متحركة عرف كيف يستغل وضعها الانفعالي للحصول على النتيجة المطلوبة!

- لقد حذّرتك. كان يجب عليّ ان اكون عنيفاً. لكن آمل الا اكون قد سببت لك الآلام.

- آه، لا! أبداً. الرضوض الزرقاء منتشرة في كل مكان من جسمي و. . . وهذا البطل برازيني الكريه، وطريقته في النظر اليّ! كأنه يعرّيني بعينيه!

قطّب مايك حاجبيه وقال:

- كان من المفروض ان لا يحضر تصوير المشهد. آسف ان أسأت اليك. لكنني لم أكن استطيع ان أطلب منه ان يبتعد عن مكان التصوير!

- لا تكن غامضاً! ليس هذا فقط... أنا أكره ان يعانقني أحد أمام الجمهور! لكن حماسك كان قوياً... هل كنت مضطراً الى اهانتي لهذه الدرجة؟

- هدّئي من روعك، يا لورنا. ما فعلته كان أمراً ضرورياً، كي لا نضيّع الوقت والمال. طريقتي ربما كانت مباشرة، لكنني على الأقل حصلت على ردة فعل ايجابية.

ابتسم ثم قال:

- ارجوك ان تصدّقي كلامي، لم اكن أنوي جرح شعورك.

صرخت قائلة:

- لكنك نجحت في ذلك.

انزعجت لورنا وكادت تفقد رباطة جأشها وطبعها الهادىء. كانت تفضل ان تراه يعبّر بحرية عن توتره وغضبه. فالتعبير عن الانفعال أفضل من الاستمرار في التفكير ببرود. والمحزن في الأمر هو انه كان يبرهن لها بوضوح عن لامبالاته بالرغم من معرفته بأنها متوترة لأنها تعيش تجربة جديدة من نوعها. هل لأنه تذكر تمارين مشاهد الحب مع روزينا روزيتي في هذه الخيمة؟ فصرخت تقول:

- بمن تشبّهني؟ هل تعتبرني مجنونة، الى درجة اني لا استحق الاحترام؟

ابتسم بحزن وقال:

- الاحترام احساس نادر في هذه المهنة.

- شكراً يا الهي، لانني لا أمارس هذه المهنة الوقحة!

دخل مصطفى وقاطع الحديث. كان يحمل كأسين مليئين فوق صينية من البلاستيك. تناولت لورنا كأساً وابتسمت للخادم قائلة:

- شكراً. هذا لطف منك!

ولما خرج مصطفى قال مايك:

- يقبض مصطفى معاشاً على الاعمال التي يقوم بها.

- آه، ولهذا السبب لا تشعر بحاجة للتصرف بتهذيب ولباقة؟ وأنا، كم سيكون معاشي لهذا المشهد الذي قمت به الآن؟ هل يكفي الشكر الذي قدمته الشركة لي؟

بدا منزعجاً وقال:

- الانتاج سيهبك مكافأة مهمة.

- شكراً. لكنني لن أقبلها. وآمل ألا ارى أحداً منكم بعد الآن!

- لا يمكنك تحديد ذلك مسبقاً. في كل حال، أنت متعبة حتى الارهاق، يا لورنا. تمددي وارتاحي. غداً ستعودين الى الهيلتون وبامكانك ان تنسي كل شيء.

في الواقع، لا ترغب لورنا ان يتحقق ما قاله مايك أخيراً... لا يمكنها ابداً ان تنساه. نظرت الى قطع الثلج داخل الكأس فنصحها قائلا:

- اشربي. جسمك بحاجة ماسة الى الماء في هذا المناخ الحار والجاف. ستشعرين بحسن كبير بعد ذلك...

جرع مايك كأسه دفعة واحدة. وكبتت لورنا رغبتها في افراغ الشراب على رأس مايك، وأخذت جرعة، ثم شربت الباقي دفعة واحدة... وشعرت بالانتعاش...

كان مايك يراقب قدمي الفتاة وقال:

- دعيني أساعدك على خلع هذه الأحذية غير المريحة

انتفضت. مساء أمس، بينما كان يساعدها على خلع صندلها، اغتنم هذه الفرصة وتصرّف بنعومة فائقة... اما الآن فالأمر يختلف

كلياً. في البداية كانت تشعر بانفعال مضطرب، دليل أول تفتح لأنوثتها. وهذا الشعور كان ينذر باحساس أغنى وأشد عمقاً...

ومن دون ان ينتظر ردها، ركع مايك وساعد الفتاة على خلع الأحذية. وهي راحت تتأمل رأسه الأسمر المنحني فوق قدميها. ثم وقع نظرها على معصم مايك المحاط بالرباط، فاحمرّت خجلا وقالت:

- أنا... لا أعرف ما الذي دفعني الى فعل ذلك.

- ماذا؟... آه نعم... لا شيء يذكر. انها لا تؤلمني.

- لكنني أتألم عنك! ما كان يجب ان أعضك...

- لقد تصرفت ابنة اخت الليدي اوغوستا مثل هر مفترس!

ارتاح لأنه نجح في تهدئة روعها، فابتسم لها وقال:

- لا خطر عليّ. حتى ولو بقيت آثار العضة بعض الوقت!

- هذه الكدمات، ألن تبقى الى الأبد؟

- لن تبقى في معصمي!...

تجهّم وجهه وبات صوته قاسياً. تقلصت لورنا خوفاً من أن يبدأ بمغازلتها الآن لانها غير مستعدة لتقبل ذلك. فجأة شعرت بالقميص الرطب يلتصق بظهرها وقالت:

- آه، لو بامكاني ان آخذ حماماً!

- يا ابنتي المسكينة! لقد حجزتك هنا... اسمعي، ارتدي ملابسك وسأوصلك الى القاهرة في الحال. ستصلين الى فندقك مع حلول الليل. وهناك بامكانك ان تستحمي وتنامي في سرير مريح.

لكن هذا الاقتراح لم يعجب الفتاة فقالت:

- هذا مستحيل... انت مضطر ان تبقى هنا لتدفع الى الموظفين. في كل حال...

توقفت عن الكلام، وأصابتها الحيرة. أي عذر ستقدمه؟ لم تكن على استعداد لأن تواجه خالتها هذا المساء، خاصة انها لا ترغب في الذهاب قبل الوقت المحدد لاتريد الابتعاد عن مايك الا اذا اضطرت لذلك. ما هذا التفاوت في الرأي بين ما تشعر به الآن وما شعرت به بعد التمثيل مباشرة! لكنها لن تراه ابداً وهذه الفكرة بحد ذاتها تخيفها وتدمرها. فهي غير قادرة ان تصرّح له بالأمر! ولحسن الحظ اعتراضها الأول فعل فعله المطلوب فقال:

- آه، لقد نسيت. لا يمكنني ان أدع بوب يقوم بذلك وحده. لكن ربما هناك غيري ذاهب الى القاهرة، على ما أظن.

قالت بعنف وحزم:

- لا. لا أشعر بامكانية السفر اليوم. أليس هذا ما شرحته لخالتي؟ سأبقى حتى صباح الغد.. اذا لم أكن أمنعك من النوم في خيمتك.

- سيكون هناك أمكنة فارغة. ماريو برازيني سيغادر في المساء، ربما بامكاني ان أنام في خيمته. اذا كنت ترغبين حقاً في قضاء الليل هنا، سأذهب لأجلب لك اناء كبيراً، وبامكانك ان تغتسلي في ارتياح.

- أنت لطيف جداً.

بدا مرتبكاً وقال:

- تصورت انني اهنتك!

رفعت كتفيها وقالت:

- أرجوك، لننسى ذلك. في كل حال، هذا لا يعني شيئاً، لي ولك.

تغيّر تعبير وجه مايك فجأة، فتقدم خطوة وقال:

- لورنا...

لم تسمع التتمة، اذ في اللحظة نفسها سمعت صوتاً من الخارج يقول:

- هل انت في وضع لائق، يا مايك؟ هل تغيّر ملابسك؟ وهل بامكاني الدخول؟

ارتعد مايك كأنه أصيب بتيار كهربائي. نظر الى لورنا بعينين مذنبتين وتوجه الى فتحة الخيمة هاتفاً:

- انيتا! كم أنا سعيد لرؤيتك! أدخلي.

بدا على مايك انه مسرور جداً لاستقبال انيتا... ولم تصدق لورنا ما تراه.

دخلت انيتا بسرعة لكنها تسمّرت مكانها عندما رأت لورنا وقالت:

- تصورتك وحدك.

- كما ترين، انا لست وحدي. أقدم لك لورنا ترافيرس. لورنا هذه انيتا اورمان.

انيتا امرأة قصيرة القامة، سمراء في حوالى الثلاثين من عمرها. ربما تكون بعمر مايك، لم تكن جميلة رغم عينيها السوداوين البرّاقتين. غير ان فمها ضيّق وبشرتها شاحبة. كانت ترتدي لباس الادغال. نظرت الى لورنا نظرة شك وقالت:

- وماذا تفعل هنا، الآنسة ترافيرس؟

كانت تتكلم الانكليزية بطلاقة. أجابها مايك قائلاً:

- في الوقت الحاضر هذه الخيمة خيمتها. وأنا جئت لأجلب لها الشراب المنعش. اما انت، فماذا تفعلين هنا؟

- أقوم بدليل لمجموعة من السياح الأجانب، كنا في طريقنا الى سيدي دارا وحين لمحنا الفرقة في الصحراء أردنا ان نعرف أي فيلم تقوم بتصويره.

- اذن جئت الى هنا للاستعلام.

- هذه وظيفتي. يجب ان استعلم عن كل شيء. وكذلك انها فرصة لأراك.

ضحك مايك وقال:

- انيتا. الجاسوسة!...

ثم وضع ذراعيه على كتفي المرأة وأضاف:

- انيتا هي صديقة عزيزة على قلبي...

- آه منك! هذا الرجل يقضي معظم أوقاته في مغازلة النساء، يا آنسة ترافيرس.

- بامكاني ان أصدق كلامك.

- هل استعرض لك كل مواهبه؟

صرفت لورنا النظر عن الرد على هذا السؤال. لكن الفتاة أضافت تقول:

- هل كنت عاقلة؟ لا شك انك تتصرفين بلباقة أكثر منه.

ثم نظرت الى مايك بقسوة. فتساءلت لورنا كيف بامكان هذا الرجل ان يتحمل هذه النظرة... فقال:

- أحاول ان أتأدب، يا انيتا. لكن هل استقبل مخرجنا جماعة السياح حسب الأصول؟ فهو عادة لا يحب المتسكعين.

- في الحقيقة لم يظهر أي اهتمام بالجماعة. لكن البطل، ماريو مارتيني، يعتقد ان هذه الزيارة تشكل دعاية حسنة للفيلم. فقد التف السياح حوله كما يلتف الذباب حول وعاء الحلوى. كان فرحاً للدعاية!

قال مايك باستغراب:

- الطاووس ينشر ريش ذنبه!

- اذن، أنت الفتاة التي وجدت في الصحراء، أليس كذلك؟ هل تحسنت أمورك الآن؟

شكرتها لورنا، غير ان انيتا بدت وكأن امراً ما يشغل بالها. قطّبت حاجبيها والتفتت نحو مايك:

- لقد استهدفت الأنظار، أليس كذلك؟
- كيف؟
- هذا الانقاذ... وماذا لو نشر ذلك في الصحف؟

صرخت لورنا قائلة:

- آه لا! هذا أمر مستحيل!

نعم، لأن ذلك لن يعجب الليدي اوغوستا.

قال مايك في الحال:

- لا، لا. أنا أقل من لا شيء ولا احد يهتم باكتشافاتي. لو كان المنقذ ماريو برازيني، لكان الخبر قد انتشر في الصحف المصرية والأجنبية وفي كل حال سأغادر الفرقة غداً، فدوري في هذه الملحمة الرائعة انتهى. والجميع منهمكون الآن في توضيب الحقائب ولن يفكروا بشيء آخر.
- اذن أنت راحل من هنا؟ أين بامكاني الاتصال بك؟ على العنوان نفسه؟
- نعم، في الوقت الحاضر.
- حسناً... أرجوك، يا مايك، اخلع هذه الملابس الغريبة! اذا رآك احد من السياح فسيطرح عليك الأسئلة المحرجة.

احنت رأسها جانباً وقالت:

- ... في الواقع، انت أوسم من برازيني.
- وانحف منه. فماريو يحب اظهار سحره، اما انا فلا... لا

تخافي، يا لورنا، ارتديت ملابس تحت الجلابية.

سألته منزعجة:

- هل يجب عليّ الخروج من هنا؟
- ليس الأمر ضرورياً.

خلع جلابيته ورماها على السرير، فقالت انيتا مستعلمة بصوت بارد:

- هل تتقاسم هذه الخيمة مع الآنسة ترافيرس؟
- لا ابداً. انها الآن خيمتها حتى صباح الغد. كنت أنظم رحيلها عندما وصلت.

كان وجه انيتا مليئاً بالعدائية.

قال مايك وهو يلمّ البزّات المبعثرة هنا وهناك:

- سآخذ كل هذا الى السيدة بلامر... بامكانك ان تحدثيني عن سيدي دارا في طريقنا.

ثم التفت الى لورنا وقال:

- سنتركك لتستريحي.

ابتسمت انيتا مرغمة وقالت:

- الى اللقاء آنسة ترافيرس... تعال يا مايك.

امسكت بذراعه بعنف وخرجا، وشعرت لورنا انها مهجورة. الظاهر ان انيتا تعتبر مايك ملكها الخاص. غير انهما يشكلان ثنائياً غريباً. يا ترى، ما هو شعوره تجاه هذه المرأة؟ لقد قدمها اليها بأنها صديقته العزيزة، ولماذا هي قلقة؟ هذا الرجل بدأ يعذبها ويرهق اعصابها.

وبينما كانت تحتسي شرابها راحت تفكر وتتساءل: لن يجد مايك بعد الآن لحظة واحدة ليكرّسها لها، ما دامت انيتا هنا. الظاهر انها

يلتقيان في مكان «مبينّ في القاهرة وربما هما مخطوبان؟

يا للأسف... لن يعود هناك أي احتمال للقاء آخر بين الفتاة ومايك. في كل حال لا يمكن لابنة أخت الليدي اوغوستا ان تسمح لنفسها بالظهور امام الناس مع ممثل عاطل عن العمل. كما ان مايك لم يعبّر عن رغبته في رؤيتها...

لم تعد تشعر بحاجة للاستراحة. فارتدت فستانها الابيض وخرجت للتنزه. اختفت الأحصنة، والتحضير للرحيل يتم على ما يرام. غير ان سيّاح انيتا ما زالوا هنا، اذ شاهدت باصهم واقفاً من بعيد، كأنه وحش حديث زرع في الصحراء. كان السياح يحيطون برازيني، فاعتراها احساس بالاشمئزاز... هل هذا ايضا حلم مايك؟ ان يدلله الجمهور... لكن ذلك لا يطابق طبعه ابداً.

تنزهت لورنا وقتاً طويلا، متمتعة بو-٠١ وهدوئها. ثم لمحت انيتا ومايك، كانا يتحدثان مع مجموعة من لفلاحين، ومن بينهم عرفت الفلاح الذي دلها على الطريق الخاطىء الى سيدي دارا. الظاهر ان الاوروبيين يتكلمان بطلاقة اللغة العربية.

عادت الى خيمتها آملة الا يكون رآها مايك وانيتا وخوفاً من ان تجعلها يعتقدان انها تتجسس عليهما.

جاء البرتو ليحضر العشاء ويشعل المصباح. راحت تأكل من دون شهية وتفكر اذا كان مايك سيأتي لزيارتها. ظلت مستيقظة حتى ساعة متأخرة، لكنه لم يعد، حتى بعد ذهاب الباص الذي ينقل السياح ودليلتهم انيتا. فجأة شعرت بالارهاق بعد هذا النهار الطويل، فنامت بعمق حتى الصباح.

قررت ان تذهب الى القاهرة قبل الظهر وقبل ان يشتد الحر. ولشدة دهشتها اصرّ مايك ان يرافقها اذ قال لها:

- هكذا اطمئن على راحتك وأمانتك.

تأثرت لورنا بهذا الكلام. وبعد هذه الليلة الساكنة استعادت هدوءها وصار بامكانها ان تفكر بحوادث الأمس ببعد وضعة، فأدركت انها تصرفت حقاً كالحمقاء! اما مايك فبرهن عن روحه المتسامحة وانّهم تصرفها بأنه عائد الى طبيعة الصحراء... نعم لا بد ان ذلك صحيح... عندما تعود الى بيئتها الطبيعية ستستعيد استقرارها وراحتها.

اقترحت عليه ان يقود السيارة بنفسه فلم يمانع ابداً. وعلى الطريق شاهدا سيدي دارا وأدركت لورنا كم كانت بعيدة عن القرية عندما تعطلت سيارتها.

فقالت:

- على الحكومة او البلدية ان تضع اشارات الاتجاه.

- تقتلعها الريح او يسرقها احدهم. في هذه المنطقة من الصحراء الخشب نادر جداً. والفلاحون فقراء. عندما أفكر بهم، يبدو لي ان سرير المخيّم ترف كبير.

نعم، لورنا تعي جيداً مشاكل الفقراء. لكن ليس باستطاعتها ان تفعل لهم شيئاً. وتذكرت ما تفعله خالتها اوغوستا لمساعدة البؤساء... والآن ماذا ستكون ردة فعلها، عندما تراها عائدة؟

فسألت مايك:

- ماذا قالت لك خالتي عندما اخبرتها ما حدث لي؟

- لا أعرف. تمكنا فقط من اعلام موظف الاستقبال.

وصلا الى القاهرة. فقامت لورنا بالمحاولة الأخيرة اذ سألته:

- ألا تريد ان تغيّر رأيك وتأتي لرؤية خالتي؟ ستكون سعيدة جداً لشكرك. لقد سبق والتقيت بها من قبل، أليس هذا ما قلته لي؟

ـ لن تتذكرني. واعذريني لأني افضل الا أتأخر عن عملي في القيام بزيارات المجاملة.

خاب أمل لورنا. وما هي الاعمال التي تشغله؟ قبل الرحيل نصحه بوب هايلي ان يذهب لزيارة روزينا روزيتي للاطمئنان عن حالتها، ونصحه بأن يأخذ لها باقة ورد. لا شك ان لورنا قد أزعجته خلال هذين اليومين اذ أجبرته فيهما ان ينام في الهواء الطلق وأصرت ان تقوم بدور البديلة في الفيلم بالرغم من جهلها هذه الأمور كلياً. كما اضطرت ان تتخبط بعنف وتؤلمه ليبدو تمثيلها مقنعاً. لقد سئم منها اذن. . .

راحت تنظر اليه بينما كان يقود السيارة في الازدحام الرهيب داخل العاصمة المصرية. كان يبدو حزيناً ولم تجرؤ ان تسأله سبب ذلك.

أوصلها الى مدخل الفندق وودعها ببرود. وفكرت لورنا بمرارة انه يفكر بارتياح للتخلص منها!

كانت الليدي اوغوستا في جناحها الخاص الذي يطل على نهر النيل. وبينما هي تكتب دخلت لورنا عليها، فصرخت قائلة:

ـ آه، هذه أنت! لقد أظهرت حقاً عن عدم ذكاء في هذا الضياع!

تفحصت الليدي وجه الفتاة وقالت:

ـ تبدين في أحسن حال. غير انه من الأفضل لك ان تغيّري ملابسك وتغسلي شعرك. تبدين وكأنك نمت فوق تلة من الشعير!

ـ لم آخذ شيئاً معي. لم أكن اتصور انني سأضل الطريق.

ـ ولا ان تستقبلك فرقة سينمائية!

هزت خالتها رأسها وأضافت:

ـ لقد استعلمت عن سبب وجود هذه الفرقة في هذه المنطقة من الصحراء، كما استعلمت عن حالتك الصحية. خفت ان يخطفك

احد! لكنك من عائلة عريقة ولا شك ان الجميع أدركوا ذلك وعاملوك باحترام.

بذلت لورنا جهداً لئلا تضحك من كلام خالتها وتمنت لو كان مايك معها ليضحكا معاً. . . فجأة اختفت رغبتها في الضحك وتذكرت انها لن ترى مايك بعد الآن.

أمرتها الخالة قائلة:

ـ اذهبي وخذي حماماً. ومتى تصبحين حاضرة بامكانك ان تعملي في فرز هذه الرسائل.

ـ كما تريدين، يا خالتي اوغوستا.

بعد يومين، تلقت لورنا مكالمة هاتفية خاصة. ولحسن حظها كانت الليدي اوغوستا غائبة. انتفض قلبها عندما عرفت صوت مايك وهو يقول:

ـ كيف حالك، يا لورنا؟ هل تحسنت كلياً؟

ـ نعم، أنا في تمام الصحة والعافية. وأنت؟

ـ أسأم حتى الموت، يا لورنا، وأشعر بالوحدة الرهيبة.

ـ أنت من دون عمل، على ما أظن؟

ـ سأبدأ بعمل جديد، عما قريب. لكن بانتظار ذلك، لدي فراغ كبير. اسمعي أنا أقوم حالياً بأبحاث ثقافية لصديق لي، وذلك في المتحف المصري طيلة بعد ظهر الغد. سأكون موجوداً قرب تمثال توت عنخ آمون. هل بامكانك ان تلتقي بي هناك؟

لم ترد. . . لقد اعتادت على فكرة عدم رؤيته ابداً برغم أملها ان تلتقي به يوماً بطريق الصدفة. لم تفكّر انه سيتصل بها.

ـ لقد. . . ما هو ردك؟ هل بامكانك المجيء، نعم أم لا؟ أو ربما يجب عليّ ان أسألك اذا كنت ترغبين بذلك.

ـ لست حرة تماماً. ربما كانت خالتي بحاجة اليّ. أريد ان أتأكد من ذلك قبل ان أرد عليك.

لم يكن كلامها صحيحاً. عادة في مثل هذا الوقت من النهار تخلد الليدي اوغوستا الى النوم وقت القيلولة، تاركة للفتاة حرية التصرف خلال فترة بعد الظهر. لكن هل من المستحسن ان تراه من جديد؟ لقد أضرم شعورها وهي لا تفهم جيداً نواياه تجاهها. لو دعاها الى العشاء لرفضت في الحال. لكن المتحف المصري، يبدو المكان المناسب للقاء عابر. ربما بدا لها مايك فافرشام، هناك، انساناً عادياً، بعيداً عن الصحراء ومن دون حصان وبزّة براقة. ربما حينذاك ستتخلص نهائياً من وسواسها...

ـ سأبقى في المتحف طيلة فترة بعد الظهر. آمل ان أراك، ولو لفترة قصيرة. تعالي اذا سمحت لك الظروف.

ـ لكن مايك، لا أريد ان...

كان قد أقفل السماعة.

٥ - اللقاء تحت تمثال توت عنخ آمون

ظلت لورنا حاملة سماعة الهاتف في يدها مدة طويلة، سارحة في افكارها. وفكّرت في عدم الذهاب الى الموعد مهما كانت رغبتها بذلك قوية. تخيلته يطوف في صالات المتحف الشاسعة والباردة، ينتظر قدومها الى ان يصاب بخيبة أمل. لكن لا يجب ان تشعر بالذنب اذا لم تأت الى الموعد، طالما سيذهب مايك الى المتحف في جميع الأحوال. ظلت حائرة طيلة النهار، تتأرجح بين رغبتها في رؤية مايك من جديد وبين التعقل والاحتياط. وظلّ هذا الاحساس يراودها حتى اليوم التالي. ولحسن حظها ان البريد كان خفيفاً ولم يكن لديها عمل ملح، والاّ لاشتكت الليدي اوغوستا من عدم انتباهها.

قبل الظهر اعلنت الليدي اوغوستا قائلة:

- سأتناول الغداء اليوم في السفارة البريطانية. حكومتنا تتابع واجباتها الاجتماعية! ربما بامكاني ان التقط بعض المعلومات الهامة. خذي وقتك واستريحي. فلم تستعيدي نشاطك بعد مغامرة الصحراء.

وتساءلت لورنا ما يمكن ان تكون ردة فعل خالتها لو عرفت حقيقة ما جرى خلال وجودها في المخيّم. لكنها تذكرت ان خالتها مزاجية... ربما صدمت... أو ربما فرحت كثيراً.

تناولت الفتاة الغداء في جناحها الخاص الذي كان مؤلفاً من غرفتين وقاعة استقبال. وبعد الغداء جلست امام النافذة تتأمل نهر النيل والسير المستمرّ. الزوارق تسير في الماء بالتجذيف او بقوة الاشرعة. وهناك ايضاً السفن الشاحنة والقوارب وحتى بعض البواخر. كما رأت القطار البحريّ المحمّل بالسيّاح المتوجهين الى الاقصر والكرنك. لم تزر لورنا هذه الاماكن بعد، لكنها وعدت نفسها بان تزورها عما قريب.

ان ترتاح في فراشها كان امراً صعباً، لأن عقلها مأخوذ بمايك فافرشام الذي يتسكع في غرف المتحف المظلمة. فجأة، جذبها شعور قوي، فأسرعت الى غرفتها واخذت دوشاً، ثم ارتدت فستاناً معرّقاً واسعاً واعتمرت قبعة بيضاء، ونظرت الى نفسها في المرآة التي عكست لها الانوثة والانتعاش.

يا للتضاد بينها وبين انيتا اورمان لدى وصولها الى المخيم. وما ان انتهت من النظر الى نفسها بامتنان حتى خرجت من الفندق مسرعة.

كان المتحف المصري يقع وراء الهيلتون. اجتازت لورنا الابواب الحديدية الى الساحة الداخلية. وتوقفت لحظة لتنظر باعجاب الى البركة المبنية من حجارة الفسيفساء المزينة. بعض العرائش تطفو

فوق الماء. هذه الازهار التي هي رمز الروح اصبحت نادرة الوجود.

دخلت الى مبنى المتحف بعد ان اشترت بطاقة دخول. ثم صعدت ببطء السلالم الواسعة حتى الطابق الاول حيث يعرض كنز توت عنخ آمون. وما ان اجتازت التمثال الاسود والذهبي، حتى شعرت بارتياح لقلة عدد السيّاح.

ثم لمحت مايك واقفاً امام واجهة زجاجية وراءها تمثال انوبيس، وهو رمز الاموات في مصر القديمة. جسمه جسم انسان ورأسه رأس ابن آوى.

وفي الحال شعرت لورنا بانتفاضة في قلبها لدى رؤيته وتوقفت مكانها، مترددة بين البقاء وبين الاستعداد للهرب والعودة الى الفندق. لكن مايك لمحها وصرخ:

- لورنا!

لمع وجهه وتقدم نحوها وقال:

- وجه ربيعي في هذا المكان الحزين! لم اكن آمل ان اراك.

- ... لم يكن لدي شيء افضل من المجيء الى هنا.

ثم اضافت تقول:

- لا تبدو انك مشغول كثيراً.

نظر اليها وقال:

- لقد دوّنت كل ما احتاج اليه من معلومات. لكن، كنت آمل ان تكوني سعيدة لرؤيتي. حتى ولو كنت عابراً املأ وقت فراغك.

شعرت باضطراب لوجود مايك، فتوجهت نحو تمثال انوبيس وقالت:

- انه رائع، أليس كذلك؟ انها غرفتي المفضلة. هذه الخطوط

تتميز بالشقاوة و. . .

ـ هؤلاء الفنانون اتقنوا مهنتهم جيداً. لكن، سبق ورأيت هذا التمثال، اليس كذلك؟

ـ بلى. وانت ايضاً. . .

ضحك وقال:

ـ كأنك تمدحينني! ماذا تعني هذه النظرة الفاحصة؟ الا اعجبك؟

ـ آه لا، ليس الامر كذلك. كنت افكر بانك تعرف كثيراً عن امور الحياة. الناس ذوو الخبرة يؤثرون بي.

ـ كلام تافه! كنت تتساءلين اذا لم اكن كبير السن بالنسبة اليك. انا لست بفتى صغير يا لورنا، عمري يفوق الثلاثين. وانت عمرك عشرين. العمر يجلب بعض الحكمة.

ـ هذا بصورة عامة. فماذا لو كان يعمل في الوسط السينمائي؟

ـ آه. . . لكن لديّ موارد اخرى. لا شك ان فتاة مثلك تبحث عن الاستقرار في الزواج.

ـ ليست النساء كلهن ماديات. اعتقد ان الحب وحده هو الذي يدفعهن الى ارتكاب الاعمال الجنونية.

كانت لورنا تفكر بوالديها اللذين تزوجا عن حب لكن زواجهما لم يدم طويلا. فكثيراً ما كانت تسمع شجارهما ولم تكن تعرف السبب.

ـ اذن، حسب رأيك، ان يقع الانسان في الحب عملية جنونية؟

ـ نادراً ما يدوم الحب بعد الزواج. لا شك ان هناك اموراً غير الحب تجعل الزواج سعيداً. ما الذي دفعنا الى هذا الموضوع؟ هل تفكر بالزواج؟

لم يرد عليها في الحال وشعرت لورنا بقلبها يخفق قلقاً. ماذا لو كانت انيتا خطيبته؟ يبدو ان انيتا تحب الامتلاك ومايك ليس بالرجل

الذي يسمح لنفسه ان تسيطر عليه امرأة. . .

تنهّد عميقاً وقال:

ـ معظم الرجال يرغبون بالزواج يوماً. لكن الزواج ليس بالنسبة اليهم فكرة ملحة كالنساء. هل تنظرين الى كل رجل غير متزوج بأنه يفتش عن عروس له؟

ـ لا، ابداً. اريد ان اتعرّف اليه اولا قبل ان افكر بالزواج منه. . . لكنني لا أريد ان ابعده عن خطيبته او عن حبيبته اذا كان في نيته الزواج منها.

ـ لم اخطب احداً، اذا كان هذا الامر يحيّرك. وانت؟

مدّت يدها اليسرى وقالت:

ـ انا لست خاطبة، كما ترى.

ـ لكن هذا لا يعني انك لست متعلقة بأحد.

كان صوته يعبر عن سخرية وقحة فقالت لورنا:

ـ ليس عندي رجل بوجه خاص. . . لكن هذا الامر لا يهمك، على ما أظن؟

انتظرت رداً بفارغ الصبر، لكن مايك ظلّ صامتاً برهة، ثم قال:

ـ يجب الرجل ان يعرف اذا كانت الفتاة التي يخرج معها حرّة وغير مرتبطة بأحد غيره.

ماذا تنتظر اكثر من ذلك؟ هل تنتظر منه ان يعلن لها انه يحبها؟

لاحظت ان حديثهما اصبح شخصياً فأرادت ان تغيّر الموضوع اذ قالت:

ـ كيف حال روزينا روزيتي؟

ـ احسن على ما اظن. لقد نقلت الى فندق سميراميس قرب هيلتون واعتقد انه في استطاعتها القيام بالتمثيل داخل الاستديو في

وقت قريب.

- رغم كون رجلها في الجص؟

- يكفي ان تؤخذ اللقطات من رأسها حتى خصرها.

- هذا الامر لا افهمه. كيف يمكن للمشهد ان يظهر طبيعياً، وقد صوّر في الفوضى؟

- يجب ان تسألي عن ذلك المخرج والتقني المختصين.

لكن لورنا لم تكتف بجواب مايك على السؤال الذي يخص بطلة الفيلم روزيتي. وسألته:

- هل ذهبت لزيارتها؟

- يا الهي، لا! روزينا محاطة بالمعجبين. ولم تلاحظني شخصياً الاّ حين لم يكن هناك احد حر وجاهز.

- وهذا لا يؤثر فيك؟

- لماذا عليّ ان اتأثر؟ روزينا امرأة انانية ومتعجرفة ومغرورة ومدّعية. اتمنى لو بامكاني ان اطردها، لكنها ذات نفوذ كبير.

ارتاح بالها من جهة روزيتي ويبقى هناك انيتا. لكنها لم تجرؤ على سؤاله عنها، اذ كانت تخاف الحقيقة.

فجأة سألها:

- هل تحبين تناول العشاء معي، هذا المساء؟

نظرت الى عينيه وقالت:

- فقط اذا كنت انساناً حراً!

- للأسف، في هذا الوقت بالذات، لست حراً.

هذا الردّ كان بمثابة صفعة للفتاة. اذن، لا شك ان انيتا هي المرأة المتعلّق بها... وبطريقة آلية، توجهت نحو الباب وقالت:

- عليّ ان اذهب الآن.

- انتظري لحظة واحدة!

وضع يده على ذراع لورنا، فاحست بقشعريرة جميلة، لكنها بقيت جامدة لا تتحرّك، محتارة بين رغبتها في البقاء هكذا، ورغبتها في الابتعاد عنه.

- ليست هناك امرأة في حياتي. لست حراً لأنني مرتبط بالتزامات اخرى.

- آه، فهمت.

لكنها في الحقيقة لم تفهم. لماذا لم يكن صريحاً معها، اذا لم تكن هناك فعلا امرأة في حياته؟ قالت:

- الظاهر انه من الافضل ان يكون الرجل عازباً اذا كان يعمل في الحقل السينمائي.

- ليس هذا هو الموضوع يا لورنا. اسمعيني. لا يمكنني ان اقول لك المزيد. ما كان يجب علي ان اطلب منك ان توافيني الى هنا. لكن لم اكن استطيع الامتناع عن رؤيتك، كان امراً صعباً...

توقف عن الكلام فقالت وهي تحاول الابتعاد عنه:

- لا اريد ان اسبّب لك المشاكل. الافضل ان نودّع بعضنا الآن، في الحال.

- والآن لقد جرحت شعورك اذ عبرت عن احاسيس خاطئة.

- بالعكس، كنت واضحاً كلياً.

امسك بذراعيها وقال:

- آمل الاّ يكون كلامك صحيحاً.

- اتركني، ارجوك، يا سيد فافرشام! ليس هكذا يتصرّف الانسان العاقل!

فجأة تغيّر كلياً. ابتسم وقال:

- لا افهم جيدا اين نحن في الحديث. هل نسبح في مأساة يونانية! اليس بامكان رجل ان يدعو فتاة جميلة الى العشاء من دون ان يطلب يدها؟ وانت التي قلت انك تفضلين التعرف جيداً الى الرجل قبل الارتباط به. احبّ رفقتك يا لورنا. وآمل ان يكون ذلك متبادلا والاّ فلا مبرر لوجودك هنا. احب ان ادعوك الى الخروج معي احياناً، اذ يبدو ان حياتك خالية من وسائل التسلية. بامكاننا ان نتقاسم صداقة لطيفة من دون ان نتعلّق ببعضنا. واؤكد لك، انه اذا خرجت معي، فلن تحطمي قلب أحد.

نعم صحيح، فليس لديها اصدقاء في القاهرة واقتراحه يعجبها، فالصداقة اهمّ من الحب. هي أيضاً تحب رفقته وهذا يلغي رتابة حياتها. اذا بقيت سجينة الليدي اوغوستا، فلن تستفيد من التمتع بشبابها. فقالت:

- اقبل اقتراحك بكل طيبة خاطر.

والمدهش في الامر، انه لم يفرح لكلامها. ابعد يده عنها ووضعها في جيبه وقال:

- حتى ولو كنت تعرفين عني الشيء القليل.

- لا يبدو انك على استعداد للتحدث عن المزيد فيما يخصّ حياتك الشخصية لكن ربما ستقول لي الحقيقة في الوقت المناسب؟ وانا واثقة انك ستقول كل الحقيقة في وقت قريب!

ترددت قبل ان تسأله:

- انا... انك سترحل عن هذا البلد، على ما اظن؟

- ربما. لكنني اعيش في الحاضر من دون التفكير بالغد. الم تملّي من هذا المكان المحزن؟ لنخرج الى الشمس. هل سبق وزرت معمل بابيروس؟ المكان رائع اذ انه يقع على ضفاف النهر حيث الجو لطيف

ومنعش.

يقع المعمل فوق زورق مربوط بمرساة على حافة النهر. والوصول اليه يتم بعبور طريق داخل حديقة مليئة بالاشجار تحتها مقاعد صغيرة. بعض البيوت الصغيرة في مستوى ادنى تحد الارض المسورة ينبت حولها الجيرانيوم والياسمين البري.

لم تكن لورنا مهتمة بصناعة الرقوق. فبعد زيارة المعمل جلسا تحت ظل الاشجار يحتسيان الشراب الذي اشتراه مايك من احد الباعة الجوالين. المكان شبه صحراوي. ما عدا رؤية النهر، لا شيء يذكر. فقالت لورنا:

- المكان هادىء جداً.

- نعم. ومن الصعب تخيّل الضجيج والحركة المستمرة للمدينة القريبة من هنا.

اقترب منها هرّ أشعر، فداعبه مايك وقال:

- كانت هذه الحيوانات تعتبر كائنات مقدسة في مصر القديمة.

- ان الشعب القديم غريب وساحر. احب السير نحو منبع النهر لازور الآثار هناك.

آه، لا! اعني... لم اكن انوي ان احثك الى دعوتي. في كل حال اخشى الاّ اكون قادرة على القيام بهذه الزيارة في الوقت الحاضر.

- هل خالتك مستبدة وعاتية؟

- لا، ابداً. لكنني جئت الى مصر بفضلها، واشعر بضرورة تلبية رغباتها.

- يا لهذه التضحية... هذا امر رائع... ونادر الوجود.

فرحت الفتاة بهذا المديح وقالت:

- وانت؟ هل تقوم دائماً بواجبك؟
- افعل ما في وسعي لذلك.
يبدو ان هذا الموضوع ازعج مايك. فسألها عن نوع عملها وشرحت له باختصار. فقال مستغرباً:
- ليس الامر مفرحاً! زهرة تذبل امام آلة الطباعة!
ضحكت وقالت:
- هل تظهر لي مواهبك كشاعر؟
- الا يعجبك هذا التشبيه؟ انت مثل زهرة برية، يا لورنا، نحيلة ورقيقة...
- لست لا هذا ولا ذاك. لو لم اكن متينة، لما بقيت على قيد الحياة بعد ما فعلته بي في دورك السينمائي... فارس في غضب عنيف!... طبعاً، بالنسبة اليك، كان اداه رتيباً...
- ليس معك.
- اذن، كانت تجربة جديدة لنا نحن الاثنين! لكنني اريد ان ابرهن لك كم انا متينة، بالرغم من منظري الرقيق السريع العطب.
لماذا قالت له ذلك؟ ألتبرهن له انها قادرة على تحمّل اي فعل عنيف ينتج عنه؟ هذا امر غير وارد بعد وعد الصداقة. غير انها كانت تعي في اعماق نفسها انها ترغب في ان تجد نفسها بين ذراعيه...
وتساءلت قائلة: يا الهي، ماذا جرى لي؟ ثم قامت بجهد لتسيطر على انفعالها وقالت:
- اعتقد ان عليّ العودة الى الفندق، الآن. لقد امضيت وقتاً رائعاً، يا مايك.
- لكن معظم الفتيات لن يجدن ذلك مسلياً: نزهة في متحف مظلم وزيارة معمل... سأفعل جهدي ان افعل احسن من هذا في

المرة المقبلة.
- لست مصرّة ان اذهب الى مكان طريف وأنيق...
كلّ ما ترغبه هو ان تبقى بقربه اينما كان. فالمكان غير مهم. قطّب حاجبيه وقال:
- لست في حال بائسة كلياً.
- آه! انا عديمة المهارة وحمقاء احياناً!
- لا، ابداً، يعجبني انتباهك. لكن، لا تذهبي بعيداً. ستجرحين شعوري اذا لم تسمحي لي في ان ادعوك للخروج معي.
- اذن، سأقبل دعوتك.
ابتسمت وقالت:
- لكن خالتي اوغوستا لن تسمح لي بأن اسمح للرجل ان يدفع عني ثمن العشاء خارجاً، او شيئاً من هذا.
- الظاهر انك لا توافقينها في الرأي. هذا يفرحني.
- تتكلم جيداً، يا مايك. انت ذو خبرة واسعة.
بريق ساخر لمع في عينيه فقال:
- اكبرك بعشر سنوات... ولم اضيّع وقتي!
اخفضت جفنيها وكتفت يديها فوق ركبتيها وقالت:
- هل تجدني فتاة ساذجة، يا مايك؟
- اجدك رائعة.
لا شك انه لم يجرؤ ان يقول لها الحقيقة... وبأسف وقفت وقالت:
- يجب ان اعود الآن.
- انتظري كي اجد لك سيارة تاكسي. لكن قبل ان تذهبي...
قدم لها ظرفاً ثقيلاً وقال:

- هذا تذكار لقاؤنا اليوم.

احتجت قائلة:

- مايك، لست مضطراً ان تقدم لي الهدايا.

- انظري، هذا ليس شيئاً.

كانت الهدية كناية عن رقة رسم عليها تمثال انوبيس فوق قاعدته الذهبية.

- آه، يا مايك، هذا رائع! سأحتفظ به الى الأبد...

- كنت أفضل ان اقدم لك شيئاً بقيمة كبيرة، لكنني متأكد من انك سترفضين.

- معك حق.

وضعت الرق في الظرف فقال لها:

- انت فتاة عاقلة جداً.

- احياناً أفضل الا اكون... فتاة عاقلة.

- لا يجب ان تتمني ذلك ابداً. بعض النساء يحصلن على مال الرجال بسهولة.

- اذن لا اريد ان اتشبه بهن.

- انت لا تقدرين على ذلك.

لم تتلق لورنا أي خبر من مايك طيلة الاسبوع التالي مع انه عندما افترقا وعدها بالاتصال... لكنه رفض ان يعطيها عنوانه. وتذكرت ما قاله لها:

- ... انتقل من مكان الى آخر بحثاً عن عمل جديد...

الظاهر انه من الصعب عليه ان يجد عملاً في مصر، اذا لم يحصل على اجازة عمل واذا اراد الاستمرار في العمل في الحقل السينمائي، سيكون مضطراً ان يغادر البلاد. ويبدو ان مايك يجب ان يعيش في

السرّ. ولم يخطر ببالها ان تشك لحظة في صدقه، ولا ان تنفي سحره... كانت تعيش فقط بأمل ان تراه من جديد. وخلال هذا الاسبوع كانت مضطربة وغير قادرة ان تركز ذهنها في العمل. كانت ترغب في رؤيته وفي الوقت نفسه كانت تخشى ان تظهر له حقيقة مشاعرها. وفي الليل كانت تحلم انها غالباً معه. لكنها تستيقظ بمرارة وتتذكر عناقه الذي لم يكن سوى تمثيل، لا اكثر ولا أقل.

لاحظت الليدي اوغوستا عدم الانتباه والتركيز عند ابنة اختها فقالت لها مرّة:

- احياناً اعتقد انك وقعت في الحب! لكنك لم تلتقي بأحد. اليس كذلك؟

- لا، لم التق بعد بالشخص المناسب.

لا يمكن لخالتها ان تعتبر مايك فافرشام الرجل المناسب. ومهما كانت لورنا مستقلة عن خالتها، فما زالت ابنة اختها. صحيح ان لورنا اصبحت بعمر يسمح لها باختيار اصدقائها، لكن خالتها ستخلق الصعوبات اذا عرفت بقصتها مع مايك. ومن الأفضل الاّ تخبرها بشيء في الوقت الحاضر، خاصة اذا نسي مايك وعد الصداقة.

نظرت الى مفكرتها. هل مرّ فقط أسبوع واحد منذ لقائهما الاخير في المتحف؟

اخيراً اتصل مايك بها هاتفياً. وللمرّة الثانية كانت خالتها قد خرجت من الفندق وفكّرت لورنا في نفسها: هل مايك على علم بتنقلات خالتها؟ لا، هذا مستحيل، بعد الكلمات الاعتيادية سألها:

- ستذهب الليدي اوغوستا الى الاسكندرية في عطلة الاسبوع

المقبل، اليس كذلك؟
ـ نعم، فهي مدعوة من قبل شخصية كبيرة. لكن كيف علمت بالأمر؟
ـ انها شخصية رسمية ومن السهل معرفة نشاطاتها وتنقلاتها. هل انت ذاهبة معها؟
ـ لن تحتاج اليّ طالما هناك سكرتيرات في مكان الاجتماع. في كل حال، انا مسرورة لعدم قيامي بهذه الرحلة. ربما كانت المحاضرة مملة.
ـ اذن ماذا تنوين فعله في هذه الفرصة؟
ـ الراحة. بالنسبة لجدتي، ابدو متعبة جداً، لكن في الواقع انا بأحسن حال.
ـ هل تذهبين معي الى الاقصر؟
ـ الى الاقصر؟ لكن هذا مستحيل!
ـ كلمة «مستحيل» لا وجود لها في كلامي. عليّ ان اذهب الى هناك لأقوم ببعض الاتصالات وفكرت في ان ادعوك لمرافقتي، ما دمت ترغبين برؤية الآثار...
حبست انفاسها وقالت:
ـ ساكون مسرورة للغاية.
ـ اذن لا وجود لاي مشكلة. سنقضي ليلة السبت في الفندق وكل شيء مدفوع.
ليلة في الفندق؟ من يتصورها؟
ـ آسفة. هذا امر غير وارد اطلاقاً.
ـ لماذا؟ اعيدك مساء الاحد ولن تعود خالتك قبل نهار الاثنين.
ـ مايك، لا استطيع، فانا لست من هذا النوع من النساء.

ضحك ثم قال:
ـ يا آنسة ترافيرس، ليس هذا مشهد اغراء. ساحجز غرفتين منفصلتين. انا مضطر للذهاب، في كل حال واجب علي ان اريك الاقصر والكرنك.
تردد قليلا ثم قال:
ـ في الواقع، هذه الفكرة نابعة من بوب هايلي، المخرج. وتحب الشركة ان تقدم لك هدية لتشكرك على انقاذهم من مشكلة كبيرة.
ـ هذا لطف كبير لكنني ما زلت اصرّ ان ذلك... غير مناسب.
ـ آه، كفى! من يبالي بهذه الاعراف، في يومنا هذا؟ بامكاني ان اجلب لك مربية، اذا كان هذا ما تريدين!
ظلت لورنا صامتة وحائرة، فسألها بصوت غريب:
ـ الا تثقين بي؟ لكن هل نسيت انك امضيت ليلتين تحت خيمتي، في قلب الصحراء. لم تكوني منزعجة من ذلك.
ـ كان الامر جبرياً وقاهراً.
ـ والآن ايضاً. اريدك ان تأتي معي. عليك يا عزيزتي ان تتعلمي انتقاء المناسبة، لأنها لن تحدث مرتين. اعدك ان اتصرّف بلباقة واحترام. في كل حال، دائماً افعل ذلك عندما اكون مسؤولا عن امرأة.
ـ هل سبق وقمت بهذه الرحلة... مع امرأة؟
ـ عدة مرات. هل تريدين توصية من احداهن؟
ومن نبرة صوته عرفت انه يناكدها...
ـ لكن هل المرأة... هي انيتا اورمان؟
لن يكون ذلك ضرورياً... آه، يا مايك ارغب كثيراً

بالذهاب، لكن... لكن...

ـ كفى! كوني شيطانة صغيرة لمرّة واحدة. لن تتسلي وحدك في الهيلتون مدة ثلاثة أيام. وأنا سأكون بعيداً جداً.

ـ شكراً، سآتي بكل طيبة خاطر. لكن، مايك...

ـ نعم يا عزيزتي.

ـ هذا امر مستحيل اذا استمريت في قول «عزيزتي».

ـ حسناً، لن اقل هذه الكلمة، بالرغم من رغبتي القوية. لا تخافي سيكون هناك الكثير من الناس، في الطائرة والفندق. فتشعرين بأمان. اجلبي معك الملابس الخفيفة فالحرّ كبير هناك.

ـ اين سنلتقي؟ في المطار؟ اسرع في الكلام يا مايك، ستأتي خالتي في اي لحظة.

حددا موعداً لنهار السبت. وصلت الليدي اوغوستا بينما كانت لورنا تقفل سماعة الهاتف فسألتها:

ـ مع من كنت تتكلمين؟

ـ كان الرقم خطأ.

نظرت الى خالتها الانيقة والواثقة من نفسها وتساءلت اذا كان يجب عليها ان تحدثها عن مشروع السفر. لا تريد ان تحزنها لكن اذا منعتها من الذهاب فستضطر الى معاكستها، لأنها تنوي القيام بهذه الرحلة مهما يكن. فهي حرّة ان تتصرف بوقت فراغها وليس مطلوب منها ان تخبر خالتها عن تحركاتها ومشاريعها. قالت الخالة:

ـ تبدين في احسن حال الآن. ارى اللون في وجهك... كنت افكر ان آخذك معي الى الاسكندرية.

شعرت لورنا بقلبها ينفصل عن صدرها وقالت:

ـ هل ستحتاجين اليّ فعلا؟

ـ لا، ابداً. لكنك ستملّين وحدك هنا.

ـ وفي الاسكندرية ايضاً. لا اعرف احداً هناك.

تسلحت بالشجاعة وقالت:

ـ في الواقع، كنت افكر في الذهاب الى الاقصر وزيارة الهياكل هناك.

قطبت الليدي اوغوستا حاجبيها وقالت:

ـ هل تعتقدين انه بوسعك تحمل زحمة السيّاح؟ ولما لا؟ اذهبي. هل معك المال الكافي؟

ـ نعم، شكراً، يا خالتي اوغوستا.

ابتسمت خالتها وقالت:

ـ انت رائعة يا لورنا وتؤدين لي الخدمات الكثيرة. قومي بهذه الرحلة واستفيدي قدر المستطاع. لكن لا ترهقي نفسك.

ـ اعدك ان اهتم بحالي كما يجب.

شعرت لورنا بالارتياح بعد هذا الحديث.

٦- لورنا تصل الى الأقصر مع مايك

مدينة الأقصر الحديثة مبنية على الضفة الشرقية لنهر النيل، فوق مدينة طيبة التي كانت عاصمة مصر قبل ثلاثة آلاف سنة، والتي وصفها هوميروس بـ«عاصمة المئة باب». فالفراعنة التابعون للمملكة الجديدة جاوروا بعضهم ليبنوا في الأقصر الهياكل الرائعة. لكن المدينة بدأت تميل الى الزوال في العام ٦٦١ق.م. وعندما أضرم الاشوريون فيها النار. فأعيد بناؤها، لكنها لم تستعد مجدها القديم أبداً. كانت تقع على سهل، ولم يعد يبقى من المدينة شيئاً يذكر. لكن، في الشمال والجنوب، ما زالت آثار الهياكل تلفت أنظار السياح.

على الضفة الشمالية من نهر النيل تقع بقايا «مدينة الأموات»

المؤلفة من معابد الأموات والمدافن. هناك عاش رجال الدين وما زالوا يمارسون الطقوس ويقيمون الاحتفالات على راحة نفوس الموتى، بينما الحراس يحرسون المدافن والعمال يرممون...

وصل مايك ولورنا بالطائرة حوالى الظهر. كانت غرفتاهما محجوزتين في فندق الأقصر يفصلهما طابق واحد. واقترح مايك على لورنا ان تدخل الفندق قبله وتطلب مفتاح غرفتها، لأنه يريد ان يحافظ على سمعة الفتاة... وبينما كانت تنتظره قرب مكتب الاستقبال دخل مايك، فأعطاه الموظف رسالة. قرأها وقطّب حاجبيه وقال:

ـ أنا آسف يا لورنا، عليّ ان أتركك بعد الغداء اذ لدي موعد مهم. الطقس حار ومن الأفضل ان تنتظريني هنا، لأن صالات الفندق كلها مبردة. سأتغيب مدة ساعتين تقريباً.

ـ تريدني ان أبقى هنا، في الفندق؟

هز رأسه فحملقت به وأضافت:

ـ هناك أمور كثيرة يجب ان أراها في وقت قصير! الحر لن يزعجني! لا يمكنني ان أبقى جالسة هنا، لا أفعل شيئاً!

ابتسم وقال:

ـ اذن، يا ايتها الآنسة التي لا تشعر بالتعب، اقترح عليك ان تقومي بجولة في عربة النقل وتذهبي الى هيكل الأقصر. سأطلب من الحارس ان يحجز لك عربة ذات عجلتين ومظلة... وغداً صباحاً، نذهب الى الكرنك. لكن في المساء، خططت لسهرة خاصة.

ـ صحيح؟

نظرت اليه بشك، فهي لا تعرف جيداً ذوق رفيقها وأضافت:

ـ هل سنذهب الى ناد ليلي؟ أنا لا أحب الرقص الشرقي.

- كما تريدين. سنقوم بنزهة تحت ضوء القمر، ستعجبين بالسهرة، بكل تأكيد.
- آه. أين؟
- انتظري وسترين.
- لكن اذا اخبرتني عن المكان الآن، بامكاني ان أتخيله في فترة بعد الظهر.

هز مايك رأسه وقال:
- ربما تصابين بالخيبة.

خلال الغداء حاولت لورنا ان تطرح عليه الأسئلة التي تتعلق بعمله اذ قالت:
- هل يصور احد المخرجين فيلماً هنا؟
- لا أعرف بالضبط.

تردد ثم أضاف:
- في الواقع، أنا أقوم بمعاملة تختص بالآثار القديمة.
- أهذا منطلق جديد؟
- ليس تماماً. لقد تأثرت دائماً بالأشياء القديمة، ويبقى هناك بعض القطع الناقصة لاكمال المجموعة، وسأبحث عنها في الأسواق الصغيرة.
- الظاهر انك تفهم بالآثار القديمة؟
- بشكل كاف. ولا أحد بامكانه ان يغشني. لدي اتصالات أكيدة لأشتري وأبيع. أحدهم يريد رؤيتي بعد الظهر. هذا العمل يسمح لي بالتنقل والسفر في انحاء البلاد.
- آه، فهمت... من الفارس الى البائع الجوّال... يا لهذا الهبوط! هل تسافر مع كيس على ظهرك؟

- ليس تماما. لدي... عنبر أضع فيه مشترياتي.
- هل هذا العنبر مفتوح للجمهور؟
- ليس في الوقت الحاضر.
- آمل لك النجاح.
- في صورة عامة، دائماً انجح في كل مشاريعي.

افترقا بعد الغداء وتوجهت لورنا الى العربة التي كان يجرّها حصان واحد. وجلست في المقعد الخلفي تحت المظلة. طوال الطريق كانت تفكّر بمايك متأسفة لعدم وجوده قربها. من أين المال ليقوم بتجارة الآثار القديمة؟ فمعاشه كممثل بديل لا يدر له أموالا طائلة. ولا شك اذن ان لديه موارد مالية أخرى. ربما تكون انيتا اورمان شريكته في هذا العمل الجديد. وخافت ان تأخذ هذه المغامرة التجارية ملامح عاطفية. شعرت بانزعاج للفكرة.

وبعد زيارتها للأقصر عادت لتوها الى الفندق. وفي المساء كانت رحلتها رائعة. فقد استأجر مايك سيارة وحجز مركباً صغيراً لعبور النهر. القمر كان زاهياً، يضيء السهل بنوره الفضي.

اجتازا الأراضي المزروعة بين النهر والصحراء ليصلا الى مكان حيث بامكانها رؤية التماثيل الأثرية الضخمة. الأروع والأضخم كان امينوفيس الثالث لكن لم يبق منه سوى بضعة أحجار وتمثالين كبيرين يصدّان البوابة الضخمة، كأنها حارسان وحيدان في وسط السهول.

وعلى ضوء القمر كانت هذه الأثارات تزهو في الليل. فالتماثيل الضخمة تتأمل النهر، كأنها بعيدة وسرّية منذ ألوف السنوات. لم تكن هذه التماثيل جميلة، لكنها كانت تعبّر عن وقار وجلالة مدهشة.

وبفرح التفتت لورنا الى مايك قائلة:

- كم هي رائعة هذه التماثيل، يا مايك! وضوء القمر يزيد في ابرازها! لن أنسى أبداً هذه السهرة ولا أعرف كيف أشكرك.

أجابها بصوت مخنوق:

- سأقول لك كيف بامكانك ان تشكريني.

كان الجو يعبق بالتوتر وكان مايك يراقبها بنظرات برّاقة. وتأكدت لورنا انه في صدد ان يعانقها فراح قلبها ينبض بسرعة جنونية الى درجة انها كادت ان تشعر بالاختناق. وأدركت في هذه اللحظة بالذات كل ما يعنيه مايك لها. انه يجسد السحر والجاذبية والرومنسية التي كانت تخاف منها من قبل. وشغفها به كان احساساً حقيقياً ورؤيا مفاجئة، مثل الشمس التي تنبثق من بين الغيوم. وتأكدت ان حبها لمايك عميق وقوي.

التفتت اليه وبريق الحب يلمع في أعماق عينيها. نعم انها مستعدة ان تفعل ما يطلبه منها، غير مبالية بالنتائج والعواقب. جذبها اليه بلهفة ولورنا تذوب بين ذراعيه، واحساس بالنصر يلفها.

فجأة، تقلص مايك وأبعدها عنه بقسوة وقال:

- أنت تثيرين جنوني! اذا أردت ان اتصرف بلياقة كما وعدتك، علينا ان نكف عن العناق.

- لكنني أحب جنونك.

- كفي، يا لورنا. توقفي!

أبعد نظره عنها وهي كتفت ذراعيها فوق صدرها تحاول السيطرة على العاطفة التي احتلت جسمها. ثم قالت:

- مايك... هل تحبني... قليلا؟

- قليلا!

ظل مديراً لها ظهره وأضاف يقول:

- يا ابنتي، لا تدعي نفسك تنساق وراء رغبة في ضوء القمر. فهذا الاحساس لا يدوم.

ثم انتفض واقفاً كأنه تخلص من عبء ثقيل وقال:

- من الأفضل ان نعود.

توجه الى السيارة بخطوات هادئة. تبعته لورنا محتارة ومضطربة لهذا التغيير المفاجىء في مزاجه.

التماثيل الضخمة تتأمل القمر. لكن بالنسبة الى لورنا السحر اختفى. وأصبحت هذه التماثيل كتلة من الحجارة يضيئها كوكب غير مبال. بدأ قلبها يؤلمها لأن مايك رفضها.

ولما أخذا المركب، لم يوجه اليها الكلام انما راح يمازح الرجل الذي يقود المركب. وقبل ان يدخلا الفندق توقف مايك وقال بصوت ناعم:

- لورنا، أطلب منك ان تكوني طيبة وتنسي الماضي... أخشى ان أكون قد أضعت عقلي. كنت... كنت جميلة جداً... فضوء القمر مسؤول عن كل أنواع الجنون... أرجوك، انسي لحظة الحماس هذه.

كيف تنسى ذلك؟ انها تجربتها الأولى؟ هذا أمر مستحيل... غير انه بامكانها ان تخرج من هذا الوضع بعزة نفس، فقالت:

- نعم، ان بعض الأشخاص يتأثرون كثيراً بالقمر... انت وأنا لا شك اننا من هذه الطبقة من الناس.

أطلق زفرة ارتياح وقال:

- والآن، لقد استعدنا وعينا. تعالي.

استعاد صوته الطبيعي والودّي. بالنسبة اليه ما حصل ليس سوى لحظة ضياع وحالة جسدية محضة. اما بالنسبة اليها انه بزوغ الحب.

وبينما كانا يدخلان بهو الفندق، لاحظت لورنا وجهاً تعرفه قرب مكتب الاستعلامات. فقالت:

- أليست هذه الآنسة اورمان؟

- انيتا؟... هذا مستحيل.

- في كل حال، انها تشبهها كثيراً.

ألقت نظرة ثانية باتجاه المرأة، لكنها كانت قد اختفت.

فأكد لها مايك قائلا:

- انيتا بعيدة جداً عن الأقصر... هل تريدين كأساً؟

رفضت لورنا لأنها تريد ان تبقى مع نفسها داخل غرفتها وأجابته:

- شكراً. أنا متعبة وأريد ان أخلد الى فراشي.

- نعم، أفهمك. كان هذا النهار طويلا. ليلة سعيدة يا... عزيزتي لورنا. نامي جيداً.

وبالرغم من تعبها، لم تكن لورنا قادرة على النوم بسهولة، اذ كانت صورة انيتا تلاحقها، لأنها متأكدة انها رأتها وتساءلت: هل كان مايك على موعد معها؟ ولماذا لم يقل لها ذلك بصراحة؟ وتذكرت عناقه الحميم لها، وأدركت انه يشعر تجاهها بعاطفة ما، لكن هذا الانجذاب حسّي محض؟ ولماذا دفعها عنه فجأة؟ هل ليظهر لها ان بامكانه ان يتصرف مثل انسان لائق، ام لاخلاصه وصدقه لأنيتا؟

ولا شك فيه ان لورنا اظهرت عن حقيقة انفعالها وعن رغبتها القوية. ومع ذلك فلم يغتنم مايك هذه الفرصة. لكن هل هناك أي مشكلة يواجهها؟ فالوضع غريب بنظرها. ولأول مرة في حياتها تقع في حب رجل وهو مايك فافرشام والظاهر انه لا يريدها. هذه هي الحياة... غداً فراق آخر، لا تأكيد للقاء في المستقبل.

لكن قبل ذلك، سيزورا معاً الكرنك وخلال فترة الصباح ربما

توصلت لورنا ان توضح العلاقات السرية بين مايك وانيتا. وسيكون ذلك في وضح النهار وليس في ضوء القمر.

أخيراً نامت وحلمت بتماثيل ضخمة يضيئها القمر وبعناق مايك. لكن التماثيل أدارت وجوهها المتألقة نحوها وراحت تحدق بها بعيون تهديدية.

وفي صباح اليوم التالي، وجدت رسالة على الصينية قرب فنجان الشاي: «أنا آسف، يا لورنا. لدي معاملة ملحة عليّ أن أنجزها هذا الصباح... انها رحلة عمل ولقد سبق ان أعلمتك بالأمر مسبقاً. لكنني نظمت رحلة لك مع مجموعة من السياح المتوجهين الى الكرنك. سيتصل بك السيد كنايت. أتمنى لك التوفيق. مايك»

ردة فعلها الأولى كانت في ألاّ تذهب الى الكرنك، لكن عندما اتصل بها السيد كنايت ليعلن لها عن قرب موعد الرحيل، اعتراها الغضب. أي عذر ستقدم لمايك؟ المرض؟... كانت ترغب في الذهاب الى الكرنك وصوت في الداخل كان يهمس قائلا: نعم، لكن لا تذهبي من دون مايك. لكن الأمر بدا تافهاً وبدا لها واضحاً ان انصراف مايك عنها له علاقة بوجود انيتا هنا. لا شك انه رآها عندما أوت لورنا الى فراشها. وبحزن أدركت ان لاحق لها عليه فهي جاءت الى هنا للتنزه فقط ولقد تخيلت خطأ، انه سيهتم بها ويرافقها في زيارة الآثار التاريخية. لكنه فضل ان يكون وحيداً وقررت ان تذهب الى الكرنك مع الفرقة السياحية.

ولما وصلت لورنا الى الكرنك لم تعد قلقة. كانت المدينة ساحرة وتقع في شمال الأقصر. لم يبق منها شيئاً من الحدائق والبيوت والقصور التي كانت تحيط بالهياكل فيما مضى. ممر طويل وضيق اجتازته الفرقة لتصل الى مجموعة من الأبنية التي تحولت وكبرت خلال

العصور. وسطها يوجد أكبر هيكل مصري وهو . . . آمون. ومدخله مؤلف من عشرة أعمدة، أما البهو فكان مؤلفاً من ١٤ عاموداً ويبلغ علو كل منها ٢٥ متراً.

لكن بعد قليل، عاودها التفكير بمايك. كان ينوي ان يريها الكرنك بنفسه، لكن وجود انيتا منعه من ذلك. لا شك ان هذه المرأة لها سلطة قوية عليه. ولا شك ان مايك ندم على اصطحابها معه لأن شغفها الطفولي بدأ يسبب له المشاكل. انه شاب لطيف وكريم ولذلك لم يرض ان يتركها وحيدة خلال عطلة الاسبوع في القاهرة.

وأدركت لورنا كم هي سريعة العطب وشديدة التأثير. وتمنت ان تكون قادرة على اختبار الحياة. لكن ذلك صعب عليها وهي تحت رعاية خالتها اوغوستا.

لا شيء يعزيها. عادت الفرقة الى الفندق وقت الغداء وكان مايك ينتظر لورنا ويريد ان يعرف رأيها عن هذه الرحلة.

- أنا آسف لأنني لم استطع مرافقتك. لكن الواجب قبل كل شيء. . .

هل كلمة واجب مرادفة لأنيتا؟

- هل تمكنت من لقاء شريكك؟

- انها مهمة منتهية. كنت أود ان أريك «سهل الملوك» لكن للأسف لا يسمح لنا الوقت بذلك. ربما في المرة المقبلة.

آه! هل ستكون هناك «مرة مقبلة»؟

عادا الى القاهرة بعد الظهر ولم تكف لورنا عن الثرثرة والكلام خلال الرحلة القصيرة في الطائرة وذلك لتبرهن لمايك عن لامبالاتها. لكنه ظل صامتاً ومن وقت الى آخر كان ينظر اليها بنظرة باردة. واعتقدت لورنا ان ذلك عائد الى اخلاصه لحبيبته، انيتا. تباً له ولها!

افترقا في المطار. توجهت لورنا الى الهيلتون وذهب مايك الى مكان تجهله.

- شكراً لهذه الرحلة الرائعة.

- أنا سعيد لأنك فرحت بهذه الرحلة. كلياً. . .

- كلياً!

- عظيم.

كان تائهاً ينظر في مكان غير محدد، كأنه يبحث عن احد بين الجمع. . . هل يبحث عن انيتا؟

رافقها حتى صعدت في سيارة التاكسي وقال:

- سأتصل بك يوماً من الأيام. الى اللقاء.

لم ينتظر ان تقلع بها السيارة، بل ابتعد بسرعة بين الجمهور.

عادت الليدي اوغوستا من رحلتها الى الاسكندرية في مزاج محتد ومضطرب:

- أنا امرأة تحب البشر ولست امرأة تتعاطى السياسة! لكن الظاهر ان السياسة في هذه الأيام تتدخل في كل الأمور. واذا كانت هناك عوائق أمام التطور فسببها السياسة.

- آسفة، يا خالتي. لا شك ان الندوة لم تتم كما يجب.

- تأسفاتك لن تشفي احداً! . . . يبدو عليك الارهاق، يا ابنتي. هذه الرحلة لم تساعدك. انها الزحمة والحر والشمس اللاهبة، على ما أظن. . . لكنني حذرتك.

تناولت الليدي اوغوستا مجلة كانت على الطاولة وراحت تحركها أمامها كالمروحة ثم قالت:

- الطقس يشتد حراً يوماً بعد يوم. وسنضطر للعودة الى انكلترا، قريباً.

توقف قلب لورنا عن الخفقان. انكلترا... ستفترق عن مايك أميالا من البحار والأرض. لكن، ربما هذا هو الحل الأفضل. بعيداً عن هذا البلد الغريب، ستتمكن من ان تنساه. الأيام تمضي ولم يتصل بها بعد. لا شك انه قرر عدم الاتصال بها، او ربما غادر البلاد.

ومرات عديدة ذهبت لورنا الى المتحف المصري علّها تراه هناك. كانت تتنقل بين التماثيل وخاصة تمثال انوبيس وتتذكر مايك، في اليوم الذي رأته، في هذا المكان. كان في عينيه بريق فرح وغبطة. لكن، وأنيتا... وهذا الصمت... نعم انه يحبها...

ارتعشت لورنا وأكملت سيرها بين التماثيل. يحيرها قناع توت عنخ آمون وصفاءه.

ولم تر مايك ابداً.

وذات يوم، التقت لورنا بأحد معارفه بينما كانت في الشارع. انه المخرج بوب هايلي. عرفها في الحال ورفع قبعته وقال:

- جميلة كالصورة. مشاهد الخيل كانت رائعة، يسرّك معرفة ذلك على ما أظن!

أطلقت لورنا صرخة صغيرة، فسيراها الجمهور وهي تتعارك مع مايك...

تابع بوب كلامه قائلا:

- لقد نجحنا في اللقطات. فلا احد بامكانه ان يفرقك عن روزينا.

ربما هذا عزاء. سألته اذا كانت شركة أفلام اكسلسيور ما زالت تصور في القاهرة، أجابها:

- لقد حزمنا امتعتنا من زمان. وأنا ما أزال هنا لأنهي الوصلات

النهائية... اسمعي، سأدعوك الى احتساء القهوة في هذا المقهى القريب.

تبعته آملة ان يخبرها عن مايك. جلسا على الشرفة وتحدثا عن أمور كثيرة. اخيراً لم تعد تصبر فسألته:

- هل عندك أخبار عن مايك فافرشام؟

- لا شيء! الظاهر انه اختفى.

وضع مزيداً من السكر في فنجانه وأضاف يقول:

- انه انسان غريب الأطوار. موهوب جداً وبامكاني ان اجعل منه بطلا! لديه سحر وأناقة ووسامة! لكنه لم يتصل بي ابداً. ما ان أنهى عمله حتى اختفى ولم أره بعد ذلك.

جرع بوب فنجانه دفعة واحدة وقال:

- كنت آمل ان أراه. فهو يعرف كيف يتصل بي. لكنه يرفض الشهرة والمال. حسب رأيي، هناك سبب لذلك.

- ما هو؟

- لا شك ان ذلك عائد الى كونه يحب الشراب كثيراً.

صرخت لورنا بحدة:

- آه لا!

- هذا الأمر يدهشك، اذن؟ وكيف تفسرين اذن هذه اللامبالاة تجاه النجاح؟

لم تجرؤ ان تقول لبوب بأن ليس الجميع يحبون ان يصبحوا أبطالا. لان ذلك يعتبر النقطة الأهم للطموح.

- لاحظي انه لم يورطني بأي مشكلة. وعندما لا أكون بحاجة اليه يذهب. احد رفاقنا لمحه في القاهرة ذات مساء وكان في حالة يرثى لها.

لم تكن لورنا قادرة ان تصدق ما يقوله بوب، لا شك انه مخطىء. فمايك لن يسمح لنفسه ان يتعاطى الكحول، هذه العادة السيئة. وتذكرت فجأة ان عليها ان تشكر بوب على رحلتها الى الأقصر، فاحتار وقال:

ـ لم أكن على علم بذلك. نعم، أعرف، كنا ننوي ان نكافئك على اشتراكك معنا، ولا شك ان مايك اهتم بالأمر وحده. اذن، ذهبت الى الأقصر معه؟

ـ نعم وهذه الرحلة اعجبتني كثيراً. الكرنك مدينة رائعة.

ـ أنت لطيفة. ونصيحتي اليك، لا تدعي نفسك تتأثر بهذا الرجل. صحيح انه ساحر وجذاب لكنه لن يقدم اليك الأشياء الحلوة التي تتمناها كل فتاة من فتى أحلامها.

احمرّت لورنا وقالت:

ـ انا أعرف كيف أدير حياتي الخاصة.

ـ مستقلة كجميع نساء اليوم! لدي ابنتان لا تجلبان الا وجع الرأس! لا تغضبي يا آنسة، لا أتمنى لك الا الخير. وسأكون آسفاً ان رأيتك مهجورة.

ابتسمت متأثرة باهتمام هذا الرجل الصادق وقالت:

ـ لست غاضبة... فمايك فافرشام تصرّف معي التصرف الحسن. في كل حال لم أعد أراه.

ـ لا شك انه وجد امرأة أخرى.

نسي مايك فجأة وراح يتكلم وحده عن زوجته وابنتيه وكانت لورنا تصغي اليه. ثم افترقا بصداقة. ورغماً عنها كانت لورنا تتذكر مايك. اذا كان مايك حقاً يدمن على الكحول، فهذا يفسر عدم طموحه وتقلبات عمله، واهتمامه بانيتا...

لكنها أبعدت عن ذهنها هذا الاحتمال. وأدركت ان مايك لا ينوي الاتصال بها وعليها ان تتعلم العيش من دونه. فخلال المرحلة القصيرة من تعرفها اليه، تغيرت بشكل ملحوظ الى درجة انها لم تعد تعرف حقيقة ذاتها.

٧- زيارة الأقارب غيّرت كل العقارب

حدث أمر مفاجىء في حياة لورنا الرتيبة عندما جاء آل ميريديث لقضاء عطلة الفصح في القاهرة. فاضطرت الليدي اوغوستا لتأجيل العودة الى انكلترا، الى ما بعد هذه الزيارة. لكن فيرا ميريديث ابنة خالة الليدي اوغوستا، امرأة متعجرفة، تجهل كل شيء عن سكرتيرة الليدي، لورنا ترافيرس.

وقبل قدوم فيرا الى القاهرة قالت الليدي اوغوستا للورنا:

- فيرا فتاة حمقاء ووقحة وتافهة وطائشة. وأفضل ما فعلته في حياتها هو ان تزوجت من رجل ثري قادر على اعالتها.

- كنت، يا خالتي، في الماضي تعتبرين ذلك عملا منحطاً...

- نعم، اذا كان ذلك بالنسبة الى فتاة طبيعية. لكن فيرا امرأة غير

قادرة ان تكسب معيشتها.

وصلت فيرا الى القاهرة مصطحبة ولديها: باتريسيا وهي فتاة تبلغ العاشرة من العمر، وكين وهو صبي يكبر اخته بسنتين. وتوجهت الى فندق الهيلتون حيث حجز لها زوجها جناحاً كبيراً مؤلفاً من غرفتي نوم وغرفة استقبال. اما زوجها، جورج، فبقي في انكلترا بحجة العمل. والسيدة ميريديث امرأة شقراء متبخترة، جمالها يشبه جمال الدمى. أنيقة ترتدي الملابس الفاخرة والحديثة الطراز. سطحية وعازمة على ان تستفيد من كل الملذات المتوفرة في القاهرة، وعلى استعداد لاستقبال أي فارس يفتح لها ذراعيه. ووجدت لورنا نفسها مضطرة لأن ترعى الولدين وتصطحبهما في النزهات لكن ذلك الواجب لم يزعجها لأنها تحب الأولاد حباً كبيراً.

والابنة باتريسيا تشبه والدتها كثيراً وتتصرف كامرأة شرسة. اما الصبي كين فكان لطيفاً ويسخر دائماً من شقيقته. لكن ذلك كان يمنعهما من الاتفاق العذب وغالباً ما كانت لورنا تتدخل لتوقف شجارهما المستمر.

وبالطبع أراد الولدان رؤية الأهرام في الجيزة وأبو الهول. وهذه الرحلة لم تكن ترغب والدتها فيها، فاقترحت لورنا اصطحابهما. وللحال قالت لها الليدي اوغوستا:

- أطلب من الله ان يوفقك، يا ملاكي! لقد سبق وزرت الأهرام عدة مرات. خذي سيارة تاكسي ورافقي الولدين. ثم خذيهما الى مطعم جيد ولا تخافي من التكاليف فأنا سأؤمنها لك.

أصرّ الولدان ان يقوما بنزهة على ظهر الجمل، فوعدت لورنا ان تلبي رغباتهما: فطلبت من سائق التاكسي ان يأخذهم الى مدخل السور حيث تصطف الجمال، ثم ان يذهب الى الأهرام وينتظرهم

هناك. صعد الثلاثة على ثلاثة جمال مختلفة وتوجهوا ببطء نحو الآثار.

وانتهت الرحلة قرب الهرم الثاني. وبما انه سبق للورنا ان امتطت الجمل خلال رحلة سابقة، ناولت صاحب الجمال التسعيرة الاعتيادية، لكن الرجل ما ان لمح سيارة التاكسي التي تنتظرهم، حتى طلب مزيداً من المال، فاعترضت لورنا واحتدّ الحوار بينهما وقررت الاستسلام عندما سمعت صوتاً أليفاً يقول:

- هل عندك مشكلة؟

التفتت بسرعة ورأت مايك وراءها، فراح قلبها ينبض بسرعة وصرخت:

- آه، مايك!

احمرّت وجنتاها ولمعت عيناها فرحاً لرؤيته فهم مايك الوضع في الحال، فأبعد المتجمعين ببضعة كلمات عربية اختفى صاحب الجمال بسرعة. أما لورنا فلم تكن مصدقة ان مايك هنا، أمامها، بلحمه ودمه، ووحده... كان يتأملها بحزن وشك، كأنه لم يكن مسروراً برؤيتها، فقالت بتلعثم:

- لقد... لقد انتظرت اتصالك.

- كنت مشغولاً جداً في الجنوب وجئت الى القاهرة لفترة قصيرة واعتقدت ان الوقت قصير كي اتصل بك.

شكّت لورنا بصحة كلامه. حتى ولو كان لديه الوقت الكافي، لما اتصل بها. كان ينوي نسيانها وهذا الشعور ازعجها. لا شك ان ذلك سببه وجود انيتا في حياته؟

بدا عليه انه مستعجل للذهاب، فتغلبت لورنا على عزة نفسها وحاولت ايجاد عذر لكسب رؤيته وقتاً أطول، لكن باتريسيا تدخلت وسألته بتعال:

- هل هو احد اصدقائك؟

أجاب مايك مكانها قائلاً:

- نحن صديقان من زمان وعشنا مغامرة مضحكة في الصحراء... يا للصدفة، أليس كذلك؟ وحتى الآن وصلت في الوقت المناسب، لأنقذك يا لورنا مرة ثانية.

أسرع كين في القول:

- كنت سأهتم بالأمر بنفسي.

أجابه مايك متعجباً:

- آه! لا شك من ذلك... لكنك لا تتكلم اللغة العربية...

توقف لحظة ثم تردد وسأل:

- ... والآن الى أين؟

اخبرته لورنا عن سيارة التاكسي التي بانتظارهم، فأمرها مايك قائلاً:

- اطلبي منه ان يذهب، فأنا أريد نقلكم.

- لكن...

- آه، كم تحبين هذه الكلمة الصغيرة، يا لورنا. من الأفضل ان تدعيني أحافظ على حمايتك، والا اضطررت ان تشتري تحفاً لا قيمة لها بثمن مرتفع.

كانت باتريسيا قلقة فأسرعت في القول:

- تعال معنا، من فضلك، يا سيد...

- مايك. وأنت ما اسمك؟

- آنسة ميريديث.

لاحظت الابنة نظرات لورنا وأضافت:

- . . . أعني باتريسيا ميريديث.
- آه، باتريسيا. انه اسم جميل.
تساءلت لورنا لماذا غيّر مايك رأيه فجأة. فهو يعرض عليهم خدماته بالرغم من رغبته بتركهم في الحال. شكرته لورنا بتهذيب محاولة الا تظهر عن فرحها الشديد.
أراد الولدان ان يزورا المدخل المظلم التابع للهرم والذي كان معداً لاستقبال الجمهور. فكان الممر ضيقاً فاقترح مايك على الولدين ان يذهبا وحدهما. فاختفيا بسرعة. وجلس مايك ولورنا على بعض الحجارة في انتظارهما وراحا يتأملان المنظر الممتد أمامهما: على اليمين الهرم الأول يبرز تحت السماء الزرقاء. وقربه، على الرمل، السيارات العديدة تلقي بالسياح وسط الجمال المستعدة لجولاتها العادية.
نظر مايك الى لورنا وقال:
- يا للقدر!
- نعم، فالقدر هو الذي جعلنا نلتقي اليوم. . .
- في هذه البلاد وفي هذا المكان بالذات العذر كلمة ذات وزن كبير.
- هل حاولت تجنب رؤيتي؟
نطقت بهذا الكلام رغماً عنها. فاحمرّ وجهها وأرادت ان تصلح عدم مهارتها فأضافت تقول:
- . . . أعني، لم تكن في الجوار.
نظر اليها بحدة وقال:
- كنت في مصر العليا. وأول انسان التقي به بعد عودتي، هو أنت؟
أحبت ان تسأله اذا كان هذا اللقاء المفاجىء أزعجه، لكنها

صمتت خشية ان يكون رده ايجابياً. فاكتفت بوجوده قربها ولا تريد ان تعكّر صفو هذا اللقاء. ثم بحثت عن موضوع مثير للحديث وقالت له:
- لقد التقيت ببوب هايلي.
- صحيح! وماذا أخبرك؟
- أكثر مما كنت أتوقعه. لقد حدثني كثيراً عنك وهو يشك بأن تصرّفك الغريب عائد ولا شك الى. . . الى. . .
توقفت خائفة من المجازفة في كلامها، لكنها أصرّت على معرفة الحقيقة.
فسألها:
- الى ماذا؟
- الى كونك تدمن الشراب.
رفع مايك رأسه الى الوراء وأطلق ضحكة عالية وقال:
- يا له من رجل مسكين! لم يفهم بعد لماذا أرفض العمل في الحقل السينمائي. . . لكن يا لورنا، ما يتهمني به بوب ليس أحد عيوبي.
- أنا لم أصدق كلامه.
- يا لك من صديقة صادقة!
- هل تعتبرني حقاً صديقتك، يا مايك؟
وضع يديه بيدها وقال:
- الى الأبد.
كيف بامكانها تصديق كلامه الساحر؟ لكنها تنهدت وقالت:
- لن تستمر صداقتنا طويلا. فسأعود قريباً الى انكلترا.
- الى اللقاء وصحة جيدة.
- آه، مايك. . .

عاد الولدان بركضان، وقال الصبي باشمئزاز:

ـ ليس في الممر شيء يستحق المشاهدة.

فصرخت باتريسيا قائلة:

ـ ماذا لو نذهب لرؤية أبي الهول، الآن.

صعد الجميع في سيارة مايك: لورنا قربه والولدان في المقعد الخلفي. ثم قادهم امام البناء المشهور. لقد سبق للورنا ان رأته من قبل. يبدو صغيراً قرب بقية الأهرام وحالته بدأت تسوء مع مرور الزمن. فقال مايك كأنه قرأ أفكار الفتاة:

ـ لقد فقد سحره وسريته. فالسياح يفسدون كل شيء رائع.

ـ لكن، الا يحق للسياح ان يزوروا الآثار الضخمة؟ صحيح، عددهم كبير وهذا ما يسيء في الأمر.

كانت لورنا ترتدي سروالا وقميصاً، تحسباً منها لامتطاء الجمل، وتعتمر قبعة بيضاء وتضع النظارات السوداء. كانت تبدو صغيرة بهذا اللباس. فقال لها مايك:

ـ لقد نحفت! هل ترهقك خالتك بالعمل؟

ـ لا، أبداً. ربما نحافتي الزائدة عائدة الى الحر الشديد. هل أنت تفضل النساء البدينات؟

ـ أفضل معانقة النساء البدينات على النحيلات اللواتي لسن سوى كتلة من عظم.

ـ لكني ما دمت غير مرشحة للعناق، فلا اهمية لذلك.

ـ كنت ممتازة عندما ذهبنا الى الأقصر. ولا أحب ان أراك تذوبين هكذا!

شعرت الفتاة بانزعاج. لكن الولدين خلقا نوعاً من التسلية عندما طلبا العصرونية. فقالت لورنا:

ـ لقد وعدت بأخذهما الى المطعم. هل تحب مرافقتنا يا مايك؟

كانت تنتظر منه الرفض، لكن، لشدة دهشتها، وافق على هذا الاقتراح وقال:

ـ وبما انك سترحلين قريباً الى انكلترا، فسأستفيد قدر المستطاع من وجودك.

سألته بينما هم يتوجهون الى السيارة:

ـ وأنت، الا تذهب ابداً الى انكلترا؟

ـ من وقت الى آخر. لكنني لا أبقى مطولا في مكان واحد.

توقفت عن المشي ونظرت اليه وجهاً لوجه وقالت:

ـ أنت، يا مايك، شخصية سرية جداً. لقد التقينا مراراً وتعرف كل شيء عني، لكنك لم تخبرني عنك شيئاً.

ـ ليست هناك أشياء كثيرة لأخبرها. والداي يعيشان في انكلترا وأزورهما من وقت الى آخر. أنا ابنهما الوحيد. وأحب المغامرة وأرى ان بلادي متحضرة كثيراً بالنسبة الي. لقد قمت بأعمال مختلفة، وحالياً عملي يسمح لي بالبقاء هنا. مصر بلد يسحرني. هذا تقريباً كل شيء عني.

لكن ما قاله مختصر للغاية. ولورنا تريد ان تعرف المزيد عنه. هل ينوي يوماً الاستقرار؟ ماذا تشكل انيتا في حياته؟ لكن لا جدوى لارغامه على البوح بالأسرار...

وصلوا الى مطعم مبني من عدة قناطر مضاءة. اذ اصرّ مايك على رؤية مدير المطعم وطلب منه ان يؤمن لهم مكاناً مشرفاً على المنظر الجميل ويقدم لهم الشاي والحلوى. فسألته باتريسيا مستفسرة:

ـ ولماذا فعلت كل هذا؟

- يجب على أقارب الليدي اوغوستا كلافرينغ ان يعاملوا معاملة لائقة بلقبها.

فرحت باتريسيا لهذا الاطراء. وسرّ كين عندما علم بدور مايك في فرقة الروغبي عندما كان لا يزال في المدرسة. فشرح له مايك قائلا:

- هذا الأمر قديم جداً. الروغبي لعبة خاصة للشباب.

فقالت لورنا ساخرة:

- والآن، أنت في سن التقاعد...

فتدخلت باتريسيا قائلة:

- لكن شعره ليس أشيب.

وضع مايك يده في شعره الأسمر وقال:

- اذا نظرت الى شعري عن قرب، فستجدين بعض الشعر الأبيض.

قفزت باتريسيا من كرسيها وبدأت تبحث في شعره، فقالت لورنا:

- أنت تستحق ذلك.

- أليس كذلك...

رفع رأسه الى الوراء وقال:

- ... وماذا تفعلين يا صغيرتي؟ هل تبحثين عن القمل؟

- لا، انما شعرك ناعم جداً.

أمرتها لورنا بصوت قاس:

- من الأفضل لك ان تجلسي مكانك.

كانت غيورة وتود ان تكون مكان الفتاة لتلمس شعر مايك بين أصابعها.

- كيف تسير أعمالك، يا مايك؟

- تماماً.

- ألا تعمل اليوم؟

- انه يوم عطلتي.

سأله كين مندهشاً:

- أنت موظف في هذا البلد؟

بالنسبة اليه، يأتي الأجانب الى مصر للسياحة وحسب. أجابه مايك:

- نعم. اهتم بالتحف القديمة.

وقالت باتريسيا باشمئزاز:

- يعني انك تملك مخزناً تبيع فيه التحف القديمة؟

ضحك مايك ممدداً ساقيه أمامه وقال:

- هل تتخيلينني وراء مكتبي؟

- لا. انك تبدو إنساناً مرموقاً.

ضحك مايك وقال:

- قلت: «اهتم» بالتحف القديمة. فأنا عميل أجد البضاعة وأبيعها للأشخاص الذين يبحثون عنها.

سأله كين باهتمام:

- أي نوع من البضاعة؟ أسلحة؟

- تجارة الأسلحة تجارة ممنوعة. أنا هنا في القاهرة لحضور مزاد علني للتحف القديمة التي كان يملكها فنان لقي حتفه. سيتم ذلك غداً وآمل ان أحقق أعمالا ناجحة ومربحة.

تنهدت لورنا ارتياحاً لأن كل ما يقوله مايك يبدو طبيعياً. كانت تخشى حقاً ان يكون عمله يتعلق بتجارة الأسلحة... او المخدرات مثلاً. لكن لا يبدو على مايك انه رجل أعمال، فالجدية عنده غد

واردة لأنه مغامر كبير. راح يتأملها وابتسامة على شفتيه.

انتهت العصرونية وأعلنت لورنا رغبتها في الرحيل. فأصرّ مايك قائلا:

- سأوصلكم.

لم تمتنع، اذ كانت تريد الافادة من كل لحظة تقضيها بجانبه.

أوقف سيارته أمام الفندق، فشكره الولدان وأسرعا راكضان الى الداخل. شعرت لورنا بتردد وأرادت اطالة الوقت قدر المستطاع. هل سيكون هذا الوداع نهائياً، هذه المرة؟

مدّت له يدها، فحبسها بين يديه وشعرت بتغيّر دقيق في تصرفاته، كأن الحاجز بينهما اختفى. ولمعت عيناه ببريق جنوني واعتقدت لورنا في الحال انه لن يدعها تعود الى انكلترا قبل ان يراها. . .

- اذن، لقد عدت، يا لورنا؟ اين الأولاد؟

هذا السؤال المطروح بصوت صاخب قطع سحر اللقاء. لم تنتبه لورنا الى سيارة التاكسي التي توقفت قرب سيارة مايك ونزلت منها فيرا ميريديث وتوجهت اليهما في الحال قبل ان تدفع للسائق. فراحت تتفحص مايك مفصلا بعينين فضوليتين. أبعد مايك يد الفتاة والتفتت لورنا شارحة لفيرا عن مكان وجود الولدين وهي تتساءل: لماذا تدخلت فيرا في هذا الوقت بالذات؟ والآن ربما رحل مايك من دون ان يلفظ الكلمات التي طالما تمنت سماعها. نظر الرجل الى فيرا محدقاً. هل ينظر اليها باهتمام أم باشمئزاز؟ لا، لن ينجذب مايك لامرأة من هذا النوع. لكن فيرا كانت مهتمة به كثيراً وسألت:

- هل هو أحد اصدقائك، يا لورنا؟

- نعم. السيد فافرشام. مايك، أقدم لك السيدة ميريديث،

قريبة خالتي.

- ووالدة هذين الولدين الرائعين؟

ضحكت فيرا وقالت:

- يجعلانني أبدو كبيرة في السن. لكنني تزوجت وأنا ما أزال صغيرة.

مدت يدها مظهرة أظافرها الطويلة المطلية باتقان وقالت:

- . . . تشرفنا بمعرفتك، يا استاذ. لكن لماذا هذه الرسميات؟ اسمي الأول فيرا. . .

لم يقل مايك شيئاً، فأضافت تقول:

- . . . ولماذا نبقى هنا؟ أدخل، يا سيد فافرشام. تعال واحتسي معي كأساً.

رمقت لورنا بنظرة سريعة وقالت:

- . . . عليك ان تذهبي وتهتمي بالأولاد. . .

مدت فيرا يدها فتناولها مايك بتهذيب. فلم يسبق للورنا ان رأته بصحبة امرأة غير انيتا. الظاهر انه يحب النساء الشقراوات الطائشات. كانت فيرا أنيقة ببزتها الحمراء والبيضاء. شعرت لورنا بالارتياح عندما أجاب مايك قائلا:

- آسف، لكن لا استطيع البقاء.

- آه، بلى. . . بلى. . .

تدخل سائق التاكسي مطالباً بأجرته، فتقدمت فيرا منه ودفعت له. وبطرف شفتيه همس مايك قائلا:

- لورنا، لا تذهبي هناك أمر مهم أريد ان أحدثك به.

تابعت فيرا قولها:

- لا يمكنني ان أدعك تذهب هكذا، فلم نلتق الا منذ لحظة

قصيرة! على الأقل اقطع عليّ وعداً بالمجيء مرة أخرى. في المساء، مثلا، ما رأيك؟ هل تلعب البريدج؟ لورنا لا تعرف شيئاً عن كل هذه الألعاب.

تدخّل مايك بلطف وقال:

- ليس كل انسان يتمتع بموهبة اللعب. فلورنا تتمتع بمواهب اخرى، عديدة. أنا آسف، يا سيدة ميريديث، جئت الى القاهرة لقضاء فترة قصيرة وليس لدي وقت للتسلية. لكن، اذا كنت تحبين التحف القديمة. والحلي، فسأحضر غداً مزاداً علنياً هل تحبين مرافقتي؟

شعرت لورنا بحزن عميق لأنه لم يقترح عليها هذه الدعوة. لكن فيرا نظرت الى مايك نظرات مصدومة وسألته غير مصدقة:

- هل هذه الأمور تهمك؟
- نعم. انها مهنتي.
- أنت تمزح!
- لا، أنا جدّي. اسألي لورنا.
- صحيح؟ كنت أعتقد انك... عسكري.
- أنت امرأة ذكية. لقد سبق وخدمت في الجيش، في الماضي.

اجابته فيرا بسخرية لعينة!

- لا يمكنني ان أصرح بذلك.
- آه، حسناً... الى اللقاء.

ابتعدت ثم التفتت الى الوراء كأنها تنوي العودة اليه، لكنها هزت كتفيها ودخلت الى الفندق.

- آه.

ضحك مايك وقال:

- آه، لهذه المرأة الوقحة! لورنا، صديقتك هذه بامكانها ان تعلمك الكثير عن أمور الحياة.
- فيرا ليست صديقتي! وبصراحة، هل تحبني ان اتصرف بهذه الطريقة؟
- كلا. افضلك كما أنت.
- ... هل طردت فعلا من الجيش؟
- كلا، لكنني انسحبت قبل ذلك.
- هل... هل تخليت عن مركزك، أو فررت من الخدمة؟
- أنا لا أفر من الخدمة، يا لورنا. انما قدمت استقالتي.
- آه! انت تسخر مني الآن. لقد أمضيت فترة رائعة اليوم معك، يا مايك.
- قلت لي ذلك قبل وصول السيدة الطائشة.

فجأة بدا جدياً وقال:

- ... لورنا، هل تتناولين العشاء معي، هذا المساء؟
- آه، مايك! آه، كم أود قبول دعوتك! لكن هذا مستحيل، عليّ ان اهتم بالأولاد.
- آه، اضافة الى ما تفعلينه من خدمة الليدي اوغوستا، تقومين ايضا بدور المربية؟ ألا ينام الأولاد؟ وبعد ذلك بامكانك ان تكوني حرة. متى؟ في العاشرة، في الحادية عشرة، في منتصف الليل؟
- بعد العشاء، في حوالى العاشرة.
- سأنتظرك هنا. هل تأتين؟
- سيكون الوقت متأخراً. هل يجب حقاً ان نلتقي هذا المساء؟
- نعم لا يمكنني الانتظار. لقاؤنا في الأهرام اعطاني القرار النهائي. فالانسان لا يمكن التهرّب من قدره.

لم تجرؤ لورنا على البقاء مطولا لتسأله عن معنى كلماته. ربما أرسلت فيرا احداً للبحث عنها. فأسرعت في القول:

- سأكون هنا، في تمام العاشرة.

عادت الى الفندق وصعدت الى غرفتها بجناحها تجتاحها موجة من الاحساس المرهف. لقد عاد مايك ودعاها الى العشاء بعد ان رفض دعوة فيرا.

هدأت من روعها قليلا وتساءلت ما يجب ان تقوله لخالتها. لا شك ان الولدين أخبراها عن الرحلة. وبالفعل طلبت الليدي اوغوستا من لورنا ان تتوجه الى غرفة الاستقبال ثم راحت تتفحصها بتفصيل وتقول:

- حسبما قال الولدان، وجدت مرة ثانية فارساً متشرداً قرب الأهرام. ولقد أنقذك من مشكلة صغيرة. . .

- بالفعل. وكان هو الشخص نفسه. استقبلني كأنني صديقة قديمة وقدم لي العون والمساعدة.

- لا تتسرعي في أخذ القرار بالنسبة الى علاقتكما قبل ان تعرفي ماضيه ومشاريعه، خاصة اذا كان يعمل في الوسط السينمائي.

بقي عليها الآن مواجهة فيرا وتحمل أسئلتها الحرجة. لكنها علمت من خالتها انها خرجت للسهرة برفقة فارس آخر.

- لا شك ان زوجها على علم بتحركات زوجته. وحسب رأيي انه يفعل الشيء نفسه. شكراً يا الهي لأنني لم أتزوج!

ثم أعلمت لورنا بأنها ستذهب لزيارة بعض الأصدقاء في المساء تاركة لها المجال لتكون حرة في السهرة.

وما ان نام الولدان، حتى ارتدت لورنا فستانها الأسود ووضعت شالا من الحرير. وراح قلبها يخفق بسرعة جنونية وهي تتوجه خارج الفندق.

٨ - حوار خاطف على ضوء سيكارة

كان مايك ينتظر لورنا في المكان المحدد، امام مدخل الفندق. ولما اقتربت من السيارة فتح لها الباب من الداخل وقال:

- ادخلي بسرعة ولنذهب من هنا.

كأنه لا يريد ان يراه احد. او ربما خشية ان يلتقي بفيرا مرة ثانية.

فقالت له لورنا في الحال:

- لقد ذهبت الى السهرة.

- من؟ . . . آه، الدمية المطلية! لمطاردة الرجال؟

- وجدت فريستها لهذا المساء، على ما اظن.

شعرت الفتاة بتأنيب الضمير ثم اضافت:

- عليها ان تتسلى بطريقة او باخرى. من بامكانه ان يلومها اذا

كانت تحب الرجال والرجال يستلطفونها؟

ـ انت لا تلومينها ولا انا ايضاً. كل انسان له حريته. لكنني لا استلطف الناس الطائشين المغفلين.

وتذكرت الفتاة صديقته انيتا، التي لا يعتبرها من هذا النوع. وفي الحال طردتها من مخيلتها، فهذه السهرة مخصصة لها. غداً سيذهب مايك الى المزاد العلني، لكنه بقربها الآن. لقد سبق وقال لها انه يعيش يومه ولا يفكر بالغد وهذا ما ستفعله لورنا هذا المساء. فهي تشعر تجاهه بانجذاب مغنطيسي وذلك منذ اللقاء الأول. لكنها لم تتأكد من حبها له الا عندما كانت في الاقصر. اما عواطف مايك فما زالت تحيرها. لا شك انه يكنّ لها الحب والمودة والا لما تواجد هنا، قربها. تعرف تماماً انها قادرة ان توقظ فيه الرغبة . . . لكنه لم يقل لها بعد بأنه يحبها، بل بالعكس، يبدو انه يحاول جاهداً مقاومة هذه الصداقة الجديدة. نظرت اليه ورأته منكباً على القيادة بكل انتباه. اضواء الطريق تنير وجهه وانفه المستقيم وحاجبيه السميكين وفمه المرسوم وذقنه الدقيق. انها تعرفه جيداً ولا تمل لحظة النظر اليه والتحديق فيه.

كان يقود بسرعة ماراً امام المقاهي والمسارح المضاءة والمباني الفاخرة والمنازل المهدمة. ولمحت على طرف الطريق الرملية بغالا تجر العربات. فجأة انعطف مايك واخذ الطريق الرئيسية باتجاه الاسكندرية. وهنا برزت حقول القطن والذرة واشجار النخيل والزيتون والاوكاليبتوس. اجتازت السيارة القرى ذات المنازل المبنية من الحجر الترابي، وسقفها المغطى باوراق الذرة المسطحة حتى تجف. هنا وهناك كانت تلمع اضاءة شحيحة. فالفلاحون ينامون باكراً. . . واحياناً تظهر خطوط سكك الحديد على حافة الطريق

العام ويسلكها القطار بضجة صاخبة. كانت ليلة صافية ولا ريح في الافق. القمر هلال رافقها طوال الطريق حتى قرية «ممنون». اخيراً حاولت لورنا قطع هذا الصمت القوي وسألته:

ـ اين تأخذني، يا مايك؟

ـ ليس الى مكان محدد.

خفف سرعته وقال:

ـ . . . لنأخذ هذه الطريق.

اختار ممراً ضيقاً بموازاة قناة الري، سلكه وهو يمر قرب مزرعة صغيرة. فجأة عم الصمت والوحدة. . . اوقف مايك السيارة وقال:

ـ هل تريدين سيكارة؟

ـ انت تعرف اني لا ادخن. لكن بامكانك انت ان تدخن اذا كنت ترغب بذلك.

اثارت شعلة الولاعة وجهه ولمحت لورنا ملامحه المشدودة. وخلال فترة قصيرة، ظل يدخن بصمت، ثم اعلن قائلاً:

ـ بعد رحلة الكرنك، قررت الا اراك ابداً.

ـ آه، مايك! لماذا؟ ماذا فعلت؟

ـ لا شيء، الا كونك حقيقية مع نفسك. اردت الابتعاد عنك لمصلحتك. لكن عندما التقيت بك بعد ظهر اليوم، لم اكن المكن من ان. . .

ضرب المقود بيده ثم اضاف:

ـ . . . من ان الغيك من حياتي.

ـ لكن. . . هل انت مضطر الى ذلك؟ لو تعرف كم اشتقت اليك وكم حزنت لغيابك! صداقتك ثمينة على قلبي، يا مايك.

ـ صداقة؟

ضحك بمرارة ثم اضاف:

ـ لا تحاولي خداع نفسك بهذه الخرافة. انت لا ترغبين بصداقة وحسب، وانا مثلك، آه، صحيح انك تصرفت بحذر وتحفظ، لكنك لم تقدري على مراقبة نظراتك فعيناك تتكلمان مكانك، يا حبيبتي، ومن السهل فهم ما تعنيان.

وبحركة عنيفة، اطفأ سيكارته في المنفضة، ثم استدار نحو الفتاة واخذ وجهها بين يديه وقال:

ـ انا بحاجة اليك، يا لورنا. بحاجة ماسة اليك.

عانق الفتاة بلطف في بادىء الأمر، ثم بشغف كبير.

وتنهد قائلاً:

ـ آه، لورنا، انا مجنون بك.

ضحك بارتجاف. واجابت وهي ترفع يدها لتداعب شعره الأسمر الناعم:

ـ جنون عذب.

ـ نعم.

وبلطف ابعدها عنه وبحث عن سيكارة اخرى. وبينما كان يشعلها قال:

ـ هل تعرفين الى اين سنصل، يا لورنا، اذا استمرينا على هذا المنوال؟

ـ الى حيث تريد، يا مايك.

لم تعد تعير اهمية لكلامها طالما كانت السعادة تحتلها. لا تريد الا شيئاً واحداً: عدم تركه يذهب عنها. اجابها:

ـ انا لا اريد مجرد مغامرة معك. فانا لست من هذا الطراز. ستفتتين قلبك وربما قلبي ايضاً. هناك حل واحد، وهو ان نتزوج.

ـ ان . . . ان نتزوج؟

حتى في احلامها المتطرفة لم تفكر بهذا الاحتمال. تذكرت فجأة انه حدثها عن ارتباطاته، فماذا حل به الآن؟ سألته:

ـ ذات يوم، اخبرتني عن ارتباطات اخرى . . .

ـ سأتخلى عنها . . . عما قريب. لكن ذلك ليس حاجزاً. لا يمكنني التغلب عليه. اقترح ان آخذك لزيارة والدي. فسيستقبلانك بفرح وسيفرحان بكل شخص قادر ان يجعلني ابقى في انكلترا . . . يريدان رؤيتي في وضع مستقر . . . ورب عائلة . . . .

ـ هل تنوي انجاب الأولاد؟

ـ فقط اذا كنت انت والدتهم.

احست بمرارة داخل صوت مايك عندما حدثها عن والديه. الظاهر انه نادم على طريقة حياته الحالية.

ـ هل والداك لا يوافقان على ان تستمر بالعمل في الحقل السينمائي؟ لكنك تخليت عن هذا العمل، اليس كذلك؟

ـ كلياً. في كل حال لم اكن اعتبر ذلك جدياً.

ـ لكن من المفروض ان تأخذ الأمور بجدية، اليس كذلك؟ خاصة . . . اذا كنت تريد ان تؤسس عائلة . . .

ـ عندك حس عملي، يا لورنا. وهذا خليط رائع بين التعقل والرومنسية! لا شك انه بعدما حدثك بوب عني بدأت تتخيلين نفسك زوجة ممثل مشهور . . . لا، لا يمكنني ان اصبح بطلاً، حتى من اجلك انت.

ـ ما بك!

وضعت يديها على كتفيه وهزته بنعومة وقالت:

ـ عملك آخر ما اهتم به. انا احبك. لكن اذا غادرنا مصر . . .

ماذا باستطاعتك ان تعمل غير التمثيل؟

ضحك فقالت:

- كن جدياً، يا مايك... اريد ان اعرف انك انسان سعيد.

- انت تعرفين كيف تجعلينني سعيداً، يا لورنا!

جذبها اليه واضاف:

- صحيح انني تعرفت الى نساء في حياتي، لكن ولا واحدة منهن اثرت في قلبي مثلك. كانت علاقات عابرة. اما انت، ففيك تموج ابدي... انه الحب!

- الحب؟ هل هذا ممكن... بهذه السرعة؟ الحب كلمة طالما ارتعبت منها. كان والداي يحبان بعضهما كثيراً، لكن زواجهما لم ينجح.

- لكنهما مع ذلك بقيا معاً عدة سنوات، اليس كذلك؟

- لا، قليلاً. انفسدت علاقتهما منذ ولادتي. وظلا يعيشان معاً تحت سقف واحد بسببي لكن الفراق المعنوي كان قد حصل.

- وانت تخافين... من اجلنا؟

- لا يجب ان نستعجل الأمور، على ما اظن. يجب ان نكون متأكدين...

- الست متأكدة من نفسك، يا لورنا؟ انا، بلى. لا تكوني مذعورة. الحياة لعبة وسأراهن بكل شيء من اجلك. الا يكفي ان نشعر بحاجة لبعضنا؟ سأتخلى عن كل شيء من اجلك.

- تتخلى عن ماذا؟ تقصد انيتا؟

فوجىء وسحب ذراعه فجأة وقال:

- يا الهي! لقد نسيت انيتا كلياً. ماذا سأقول لها؟

ارتعشت لورنا وقالت:

- هل هي مهمة في حياتك، الى هذه الدرجة؟

- نعم ولا. في بعض الأحيان كانت عوناً كبيراً وقدمت لي مساعدة فعالة. انها امرأة غريبة... نصف مصرية. هل لاحظت ذلك؟

- كلا

- في مصر زيجات ممزوجة. في الأيام الأخيرة، اصبحت انيتا صديقة حميمة ولا تتوقع ان تراني بعيداً عن متناولها.

تعرف لورنا السبب. فانيتا امرأة تعتبر مايك ملكيتها الخاصة ولا تحب ان تتدخل امرأة اخرى في حياته. تحمست لورنا وسألته:

- هل تعرف انيتا حقيقة عواطفك تجاهي؟

- لا تعرف هذا التطور الأخير للأحداث. كل ما اعرفه بأنها لن تحبذ فكرة ان تراني متزوجاً، لأن ذلك سيضع نهاية لتعاوننا.

- لا افهم. اذا كان عملك مزدهراً فلماذا نحن مضطران الى مغادرة هذا البلد؟ بامكاني ان اعيش هنا.

- كلا. مصر ليست لك، يا زنبقة الشمال. ستذبلين خلال الفصول الحارة ولن احتمل ان اراك هكذا عندما نتزوج.

فرحت الفتاة بهذا الكلام. فراح مايك يتأمل وجهها البشوش. ولاحظ ان الشك يوشوش ذهنها. نعم، هذا صحيح. كانت لورنا تشعر باحساس غريب يشدها الى عدم التعلق بهذا الرجل غير المستقر وتذكرت هذا القول: «الحب العنيف يؤدي الى نهاية عنيفة بعد ان ينطفىء في الذروة». لكن لورنا تريد حباً ابدياً.

- اذن، تعتقدين انني جدي مع انيتا... لا، ليس هذا هو الأمر... هل يجب ان نضحي بسعادتنا لمجرد غلطة صغيرة؟ الا تحبينني حقاً، يا لورنا...

- آه، بلى! بلى! لكنك لم تفهمني... عندما عرفتني بانيتا، قلت

لي انها صديقتك المفضلة.

قهقه ضاحكاً، واغتاظت لورنا لذلك. قال:

- وهذا الأمر يزعجك منذ البداية؟ آه، يا لورنا المسكينة، كنت خائفة من تدخلها في علاقتنا؟

- هل لهذه العلاقة من وجود؟

- كلا، لا يوجد هذا النوع من العلاقة بيني وبين انيتا. انها زميلة وصديقة صادقة. ارجو ان يكون ضميرك مرتاحاً من هذه الناحية.

- اقسم لي بأنك تقول الحقيقة؟

- اقسم على حياتي. آه، يا لورنا، الم تنظري اليها. انيتا المسكينة ليست بامرأة جذابة.

- هل تعتبرني امرأة جذابة؟

- نعم جداً. ولو لم نكن جالسين الآن في السيارة، لبرهنت لك عن ذلك... لكننا سنتزوج قريباً. بعد ان انتهي من اعمالي القائمة. سنأخذ اول طائرة ونعود الى انكلترا. بامكاننا ان نعيش مع اهلي ريثما نجد شقة. فالمنزل واسع وكبير ومدينتنا تدعى «مارلو» هل تعرفينها؟

نعم كانت تعرفها. انها مدينة جميلة تقع على ضفاف نهر التايمس. انه مكان هادىء جداً.

- وماذا ستعمل هناك؟

- ساهتم بك، طبعاً. كلا، لورنا، انا اتكلم بجدية. لن اجد صعوبة في ايجاد عمل ما، ولدي موارد كثيرة، لا تقلقي سأقدم لك حياة مريحة.

هذا الأمر لا يهمها كثيراً... اذا كان مايك يشكو من مشاكل مادية، فهي على استعداد ان تعمل لمساعدته. لكن، من الأفضل ان تنتظر قليلاً قبل ان تخوض معركة الزواج... سألته:

- هل هناك سبب لتسرعك في الزواج؟

- لورنا، هل توافقين على الزواج مني، نعم ام لا؟

- آه، نعم... لكن...

قال ساخراً:

- لكن... كلمتك المفضلة! لا يوجد «لكن». والدي وانا سنهتم بكل شيء. لن اسمح للسيدة النبيلة الليدي اوغوستا ان تصطحبك الى مكان مجهول. اعرف خالتك جيداً، انها عانس، خائبة الظن.

- مايك، ليس لطفاً منك ان تقول هذا الكلام. كانت دائماً جيدة معي.

- لقد استغلتك. ساكون حذراً، يا لورنا. حين تصبحين زوجتي ما ترغبينه يصبح امراً. لكن قبل اي شيء آخر، اريد ان اكون واثقاً منك.

- بامكانك ان تثق بي يا مايك! لن يكون هناك غيرك في حياتي، دائماً والى الابد. عرفت ذلك عندما كنت في الاقصر. وعندما دخلت في حياتي... لم... لم اعد الفتاة نفسها.

- بالنسبة الي، بدأ كل شيء عندما رأيتك ممدة على سرير المخيم، كنت مخلوقة جميلة ونحيلة، بحاجة الى عناية وحب!

- ليس هذا صحيحاً!

كانت لورنا تضطرب كلما عاملها كزهرة سريعة العطب. فهي تعتبر نفسها فتاة متينة وكلها عافية.

- لقد عرفت دائماً ان اتدبر اموري بنفسي.

- لن تكوني مضطرة لذلك بعد الآن، يا لورنا سنكون معاً. الى الابد...

انحنى فوقها وعانقها بحنان كبير... وضعت لورنا ذراعيها حول

عنق مايك وخبأت وجهها في قميصه وكانت تشعر بخفقان قلبه على خدها، خفقات سريعة قوية ومنتظمة. ضمها اليه وحولهما الهدوء وسكينة الليل والنجوم اللماعة...

رفعت لورنا رأسها وقالت:

- متى تنوي الذهاب الى انكلترا؟

- بعد بضعة اسابيع. علي ان اذهب اولاً الى جنوب مصر لاصفي اعمالي.

- هل ستتغيب كثيراً؟

- اسبوع، او ربما اسبوعان. سيكون امامك الوقت الكافي لتعتادي على فكرة اقامة مستقبل معي.

- الا يمكنني مرافقتك؟

- يا عزيزتي، الآنسة ترافيرس، اذا كانت مخيلتي لا تخونني، كنت خائفة ان تقضي الليل معي في فندق الاقصر، حتى في غرف مستقلة. هذا الأمر صعب علي في الوقت الحاضر.

- ما دمنا مخطوبين، فلا اهمية لذلك...

- صحيح؟ لا، يا حبيبتي، لا تتسرعي في حرق المراحل. سيكون الطقس شديد الحر في مصر العليا.

- الحر لا يزعجني. واحب ان اعرف كيف تكرس وقتك.

- آه، صحيح كل مستقبلي لك، يا حبيبتي لكن الماضي، سأقفل عليه وحدي.

ابتعدت عنه وقالت:

- تعرف، يا مايك، كأنك تعيش قصة خرافية. تغلق كل شيء بحجاب من الاسرار.

تقلص، ثم اجاب بصوت طبيعي:

- انك تقعين من جديد في الرومنسية. النقاش المستمر يصبح رتيباً في النهاية.

- الا تتحمل اي مزاح؟

ثم ضحكت وقالت:

- هل سترى انيتا اورمان في الجنوب.

- آه، الا تثقين بي؟

- بلى، لكن...

- تباً لك ولهذه الكلمة! اسمعي، يا لورنا. سأصفي اعمالاً ملحة واجد وكيلاً يحل مكاني ويساعد انيتا. هل تثقين بي، نعم ام لا؟

- طبعاً. ما فائدة الحب من دون الثقة؟

- الشك عملية لا تطاق.

- لا اشك بذلك.

انه يطلب من لورنا ان تثق به، لكن، هل كان صريحاً معها؟ كانت تشعر بأن مايك يخفي عليها امراً يتعلق بانيتا. لقد اقسم لها ان لا علاقة عاطفية بينهما. لكن الرجال غير صادقين فيما يتعلق بعلاقتهم مع النساء...

واذا كان مايك يريد ان ينسى انيتا والماضي، فهل ستسمح له انيتا بذلك؟ ماذا ستكون ردة فعلها عندما سيعلن لها عن زواجه القريب؟ ستفعل كل ما في وسعها لتمنعه. هذا ما كانت لورنا تفكر فيه.

اعلن مايك متجاهلاً تخوف وشكوك لورنا، اذ قال:

- ما دام الأمر قد انتظم، سأعيدك الآن الى الفندق. فالوقت متأخر.

- الن اراك قبل رحيلك؟ اليس لديك وقت للقاء خالتي؟

- الليدي اوغوستا؟ عليها ان تنتظر عودتي. سأرحل مباشرة بعد المزاد العلني.

- الأ يمكنني مرافقتك الى المزاد العلني؟ لقد دعيت فيرا...

- لابعادها.

- هل ستعود بعد اسبوع؟

- آمل ذلك. ربما بعد اسبوعين.

- هل ستكتب لي؟

- يا ابنتي العزيزة، سأعود قبل وصول الرسالة. اسبوع ليس بوقت طويل.

- او اسبوعان؟...

- ربما لا. عانقيني ولنرجع.

بين ذراعيه شعرت لورنا بالثقة. حبهما قوي ولا احد بامكانه ان يفرقهما من الآن وصاعداً.

ولما وصلت الى الفندق، سألته:

- بامكانك ان ترى خالتي الآن وتعلن لها عن خطوبتنا.

نظر الى ساعة يده وقال:

- يا حبيبتي، وفي هذه الساعة المتأخرة؟ لا شك انها نائمة. او ربما لا تكون مستعدة لاستقبالي ببشاشة. اذا كانت ستعارض زواجنا، فالأفضل ان ننتظر عودتي. لا اريد ان اراك وحيدة خلال اسبوع اذا كنت بحاجة الى مساعدتي.

نعم، انه على حق. لا يمكن للورنا ان تتنبأ بردة فعل خالتها

الليدي اوغوستا. اذا تصرفت بتحبر وحذر، سيكون الانتظار امراً صعباً ومؤلماً.

- اذن لن ابوح لها بشيء قبل عودتك.

- ربما يكون ذلك صواباً.

عانقها من جديد ثم قال:

- اذا حدث امر غير متوقع، فستنتظرينني اليس كذلك؟ سأعود.

صرخت قلقة:

- هل تعتقد ان عملك سيأخذ منك وقتاً اطول مما تتوقعه؟

- لا اعتقد.

- الحوادث، يمكن حصولها.

- سأعلمك بالأمر اذا تأخرت.

- صحيح؟ هل بامكانك ان تعطيني عنواناً كي اتصل بك؟

- كلا، للأسف. سأكون على الطريق باستمرار. سأنتقل من قرية الى اخرى... ادفع للوكلاء واعلمهم رحيلي. لن امكث اكثر من ليلة واحدة في المكان نفسه.

- وفي القاهرة؟

- لورنا، ليس عندي عنوان دائم، الا في «مارلو».

- لكن، يا مايك، خالتي اوغوستا تفكر بالرحيل قريباً. بامكانها ان تقرر ان تعود مع آل ميريديث. ماذا سأفعل في هذا الخصوص؟

- لا شيء. سأهتم بكل شيء. اعطني عنوانك في لندن. سألحق بك الى هناك.

اعطته عنوان منزل الليدي اوغوستا فردده كي يحفظه في عقله. فقالت:

- سأكتب لك العنوان اذا كان معك ورقة وقلم.

- ليس ضرورياً، فالعنوان قد حفر في قلبي.

لم تكن لورنا تحب هذا الكلام المتصنع، لكن مايك كان يقوله بصدق. ينتظر حتى تغادر لورنا السيارة التي لم تكن مستعجلة، لأنها في اوج السعادة فقالت:

- لو لم تكن مضطراً للذهاب!

- انت تعقدين الأمور يا لورنا. ساعود قريباً. هل تعتقدين انني سعيد في الابتعاد عنك. كل دقيقة اعيشها بعيداً عنك ابدية كاملة. لكن ليس بوسعي ان افعل شيئاً. قريباً سنكون معاً الى الابد. اما الأن، فعودي الى الفندق بسرعة. وابتداء من الغد ابدأي في تشطيب الأيام من روزنامتك. تصبحين على خير، يا حبيبتي.

اسرعت لورنا. ولما وصلت الى المدخل التفتت وراءها فكانت سيارة مايك قد اختفت. فركت عينيها لتتأكد من انها لم تحلم. هل هذه السهرة حصلت فعلاً؟

نسيت ان تطلب منه تذكاراً بانتظار خاتم الخطبة. لكنها تذكرت انه اهداها رقة انوبيس. وبرعشة ادركت ان انوبيس هو رسول الموت...

٩- انيتا اورمان تزورها ويدور حوار

ومرت الأيام ولورنا تشطب كل يوم مر من روزنامتها. لقد ذهب مايك الأربعاء، فأحاطت يومي الاربعاء المقبلين بالأحمر لأنه قال لها: «ربما اسبوعان»... غادر آل ميريديث القاهرة. وبعدما قررت الليدي اوغوستا العودة معهم، غيّرت رأيها في آخر لحظة، معلنة آخر نيسان (ابريل) موعد رحيلها النهائي، أي بعد اسبوعين من رحيل قريبتها.

ومرّات عديدة كانت لورنا تراقب خالتها بامعان وهي على وشك ان تبوح لها بسرها، لكنها قررت انتظار عودة مايك. ومتى يعود ستعلمه بأنها لا تستطيع الانفصال عن عملها من دون علم مسبق، وربما اضطرت ان تبقى مع الليدي اوغوستا بانتظار ان تجد فتاة تحل

مكانها.

نهار الاثنين، أي بعد خمسة أيام على رحيل مايك، نادتها موظفة الاستقبال لتعلمها بأن سيدة سمراء تريد رؤيتها. فسألتها لورنا:

- هل اعطتك اسمها؟

- كلا، لكن الظاهر انك تعرفينها. أصرت ان تراك وحدك.

ولما سمعت لورنا طرقاً على الباب، قالت:

- أدخلي.

ودخلت انيتا اورمان. كانت ترتدي بزة حمراء. فشعرها الاسود وعيناها ومشيتها الناعمة، كلها تدل على نصفها الشرقي الذي بدا واضحاً الآن في نظر لورنا. نظرت حولها متفحصة الغرفة بعين مشمئزة وقالت:

- يا لهذا القصر! انت محاطة جيداً، يا آنسة ترافيرس، أليس كذلك؟

- أنا أعمل هنا... اجلسي يا آنسة اورمان. بماذا يمكنني ان أساعدك؟

اختارت انيتا مقعداً مريحاً وقالت:

- انت مندهشة لرؤيتي، على ما أظن.

- بالفعل.

بريق أمل أنار وجه لورنا التي قالت:

- هل تحملين لي أخباراً عن مايك؟

- ليس بوسعه ان يوصل الرسائل.

- هل هو مريض؟ مجروح؟

- كلا، لكنه لن يعود الى القاهرة، يا آنسة ترافيرس.

تجهمت ملامح انيتا وزمت فمها كما فعلت في السابق. أجابتها لورنا:

- لن اقتنع بصحة كلامك الا اذا قاله مايك بنفسه.

- لا أشك بذلك. لكن ما أقوله هو الحقيقة.

تفحصت انيتا الفتاة النحيلة الشاحبة وقالت:

- انت جميلة جداً، يا آنسة ترافيرس، وجمالك نحيل ودقيق وهذا ما يبحث عنه كل رجل مثل مايك. لكن، لن أسمح له ان يفسد حياته من أجلك.

- لا أعرف لماذا تدخلين بحياته. فهو الذي يقرر مصيره هل تغارين مني؟ تريدينه لك ولا تتحملين فكرة الانفصال عنه

كانت تتحدث بلهجة هادئة بالرغم من انزعاجها.

- لا، لن أتحمل ذلك. آه، أعرف بأنني لست امرأة يقع الرجال في غرامها. انا اعمل مع مايك منذ فترة طويلة. فهو يحترمني ويحبني كثيراً. طبعاً ارغب بأكثر من ذلك، لكن هذا أفضل من لا شيء. لن أتحمل فكرة ابتعاده عني من أجل فتاة غنية ومدلعة مثلك، سنبتعد عنه في جميع الأحوال.

احمرّت لورنا غضباً وقالت:

- لا يحق لك ان تشتميني، يا آنسة اورمان. لست غنية ولقد سبق وقلت لك انني أعمل هنا لأكسب معيشتي. صحيح اني أعمل عند خالتي لكنني وحيدة منذ ان كنت في السادسة عشرة من عمري!

- حياتك لا تهمني. جئت الى هنا لأخلّص مايك من مخالبك.

- من تعتبرينني؟ لا أنوي احتكار مايك من دون مشيئته. نحن نحب بعضنا يا آنسة اورمان وسنتزوج عما قريب.

احمرّت وجنتا انيتا، فرمت رأسها الى الوراء كحية على استعداد للانقضاض وقالت:

- الأمر مفاجيء، أليس كذلك؟ لم يحدثني عن الزواج عندما رأيته

في الأقصر، حتى ولو كان يتصرف معك بجنون. ما كان يجب عليه ان يصطحبك معه، في كل الأحوال.

اذن كانت انيتا اورمان بنفسها في غرفة الاستقبال داخل الفندق؟ لماذا تصنّع مايك بأنه لا يعرفها؟

- تصورت انه شفي من هذا الولع العابر. . . هل رأيته بعد رحلة الأقصر؟

- نعم، قبل رحيله الى الجنوب. من المفروض عليك ان تلتقي به هناك، لانهاء الاعمال أليس كذلك؟

قهقهت انيتا بمرارة وقالت:

- أهذا ما قاله لك؟ نعم، عليّ ان أراه هناك في الغد. لكن أردت قبل ذلك ان احدثك، وأحذرك ان تدعيه وشأنه.

- آه، صحيح!

أصبحت لورنا غاضبة الآن. لم تعد تتحمل تصرف الفتاة التي أضافت تقول:

- أنت تعرفينه منذ وقت قصير والا لأدركت ان لا مجال في الاتكال عليه. لا تثقي بوعود ناتجة عن انفعال عابر. انت لا تعرفين اي نوع من الرجال هو مايك. . . فكيف تتعاملين معه اذن؟ كيف يمكن ان تتوصلا الى اخذ قرار بالزواج، في هذا الوقت القصير؟

- لن تدمري ايماني بمايك، مهما قلت.

- اذن انت فتاة حمقاء! لست الأولى ولن تكوني الأخيرة! اذا انتظرته ستصابين بخيبة امل! فلن يعود اليك!

- أرفض ان أصدق كلامك.

ورغم تظاهرها بالشجاعة كان الشك يحتلها. فتوجهت نحو النافذة تنظر الى النهر من دون ان تراه. . . لم يكن مايك مضطراً في ان

يقترح عليها الزواج. . . لكنه ذهب الآن وربما ندم على ما أعلنه وما ينوي تحقيقه.

كانت انيتا تراقب لورنا المشوقة والنحيلة، كأنهما الهرة والفأرة. ثم قالت بلطف:

- انت شابة وستعودين الى انكلترا، عما قريب، أليس كذلك؟ نعم أعرف ذلك، لأن تنقلات الليدي اوغوستا يعرفها الجميع. هناك بامكانك ان تنسي كل شيء وتجدي لنفسك رجلا من بيئتك، لن يتخل عنك يوماً.

ارتعشت لورنا في داخلها، ربما هذا الكلام صحيح، غير انها ما تزال تشعر تجاه مايك بعاطفة عميقة. لقد دخل فجأة الى حياتها وطبع صورته الى الأبد، في قلب الفتاة. فلن تجد يوماً أي رجل مثله.

التفتت بسرعة بانيتا وقالت:

- لن أصدق هذا الكلام الا اذا كان آتياً منه، وحسب!

ومرّة ثانية ضحكت انيتا وقالت:

- يا عزيزتي، انت تبرهنين الآن عن عدم نضج! لم يحصل ابداً ان باح رجل بهذا السر لامرأة، اذا رأيته من جديد، سيتردد ويحتار. لكنك لن تريه بعد الآن. الانفصال افضل الأمور وهو يعرف ذلك تماماً. في كل حال، جاء مايك الى هنا من اجل العمل وحسب.

لا شك ان انيتا قلقة على مستقبل اعمالها. ولورنا ترفض التصديق بأن مايك يفضل عمله على حبها. فرددت باصرار:

- انا لا اصدقك.

- لن تشاهدي مايك بعد الآن لعله يقع من جديد في سحرك، يا ساحرة!

صرخت لورنا وقالت:

- أنا لست بساحرة.

فجأة شعرت الفتاة ببعض الأمل. فمهما حاولت انيتا ان تمنعها من الاتصال بمايك، فهو سيحاول ان يتصل بها. أضافت:

- لم أحاول ان أوقعه في الفخ. القدر قرّبنا ونحن نحب بعضنا حباً كبيراً. هذا أمر شديد البساطة.

- وانطونيو ترك مملكة بكاملها لكليوباترا. لكنك يا عزيزتي، أنت لا تشبهين كليوباترا، ولا أتصور مايك يرفض ماضيه من أجلك. أردد على مسمعك: لن يعود أبداً!

- في كل حال، ليس في نيتك ان تدعيه يتصل بي. وأنا لا أعرف جيداً ما هو بالنسبة اليك...؟

- انه كل حياتي. لم يسبق ان التقيت بشخص مثله جذبني الى هذه الدرجة، بالرغم من غياب العلاقات بيننا، أفهمه جيداً... وصداقتنا قادرة ان تحل محل مغامراته العابرة. ولن اسمح له ان يضيّع وقته مع فتاة شابة يحتلها الشغف حتى العمى.

- أشكرك. أنت لطيفة جداً! لكن عليك ان تقنعيني بأنني غير قادرة ان أجعل منه انساناً سعيداً! حججك سطحية، يا آنسة اورمان ولا أخاف من تأثيرك عليه.

لكن في الحقيقة، كانت تخاف كثيراً من تأثير انيتا عليه، لأن هذه الأخيرة تعرفه معرفة جيدة. هل قالت الحقيقة؟ اسندت لورنا رأسها على زجاج النافذة. وكان تحتها نهر النيل يستمر في رحلته الطويلة نحو البحر...

نهضت انيتا من مقعدها المريح وقالت:

- أفضله ميتاً، على ان يتزوج منك!

نظرت لورنا اليها مرتعبة. فالانتقام ظاهر على وجهها. ثم قالت:

- الشباب يفكرون بأن الحياة لا طعم لها اذا كانت رغباتهم غير مكتفية. عودي الى بلادك، يا لورنا، واختاري رجلا لطيفاً ومستقراً قادراً ان يهتم بك. اذا سدّ الباب، تبقى هناك نافذة مفتوحة. هذه هي الحياة...

أجابت لورنا بصوت بارد:

- شكراً. لكنني لست عديمة المسؤولية بالرغم من مظاهري. اذا رأيت مايك، قولي له بأنني سأنتظره دائماً.

- لن أحدثه عنك يا آنسة ترافيرس. لقد نسيك ومن الأفضل لك ان تنسيه ايضاً. الى اللقاء، يا آنسة ترافيرس.

خرجت بسرعة من دون ان تنتظر رد لورنا. بقيت الفتاة قرب النافذة، جامدة مكانها. هل نسيني حقاً؟ في خلال اسبوع واحد؟ كلا، انيتا مخطئة. ربما يكون مايك متأسفاً لما حصل، لكنه لن ينساها بهذه السرعة.

ظلت تنتظره حتى الاسبوع التالي، آملة ان تصلها رسالة منه. لن يدعها في قلق دائم... لكنها لم تتسلم منه أي خبر. وبأسف، تقبلت الحقيقة. انيتا هي الرسول والرسالة كانت واضحة...

وكانت لورنا منهمكة بتحضيرات الرحيل. فأوراق الليدي اوغوستا دقيقة ويجب ترتيبها قبل السفر. الحالة الجوية تعلن عن قدوم الربيع في انكلترا. وفي مصر كانت النهارات طويلة وحارة.

ولما عادت الى بلادها، نزلت لورنا في شقة خالتها خلال فترة الصيف كلها. لم يصلها أي خبر من مايك ولم تعد تنتظر ذلك. وللأسف تحققت كلمات انيتا.

وذات يوم راحت تفتش في دليل الهاتف باحثة عن عائلة فافرشام في مارلو، من دون جدوى. كما بحثت عن الشارع في الخريطة

المحلية وكانت النتيجة ذاتها. فالعنوان ومنزل مايك ورقمه الهاتفي، لم تكن الا من اختراعه غير انها لم تكن تفهم ما الذي دفعه الى ذلك. لماذا دعاها ان تعيش في منزل لا وجود له؟ ولم تجد سوى جواب واحد: مايك كان يكذب عليها باستمرار.

كانت لورنا تساعد خالتها في تنظيم حفلات الاستقبال وتهتم بالمدعوين، الذين غالبيتهم في سن متوسطة، سياسيون كانوا ام موظفين. كلهم انيقون ومن عائلات كبيرة محترمة.

ونادراً ما يأتي رجل شاب الى هذه الاحتفالات. لكن، ذات مساء، جاء شاب بسن الخامسة والعشرين، يدعى ليونيل كارترايت. وعاود حضور الاحتفالات بصورة منتظمة. وكان متى وصل، يتوجه لتوه الى لورنا. وذات يوم تشجّع ودعاها الى الخروج معه لحضور مسرحية. وكانت لورنا تجده لطيفاً.

واهتمام ليونيل لم يفت انتباه الليدي اوغوستا التي أعلنت لابنة اختها قائلة:

- لقد أعجبت الجنس الآخر، يا حبيبتي. ليونيل شاب مستقر ومن عائلة ثرية وبامكانه ان يؤمن لك مستقبلا مستقراً. للأسف لم أكن قادرة ان أؤمن لك ذلك، كل ثروتي ذهبت الى الفقراء والأعمال الحسنة. في كل حال أنا لا أؤمن بالارث.

أجابت لورنا:

- أنا لا انتظر ان أرثك، يا خالتي. سيمكنني ان أكسب معيشتي دائماً على ما أظن.

- لكنك ستجدين نفسك وحيدة. الزواج مشاركة وستجدين ليونيل سهلا للعيش معه. النساء يشعرن بسعادة اكثر وهن متزوجات وحتى الزواج السيء أفضل من الوحدة. العازبات

يفقدن حيويتهن ويصبحن جافات ويعوضن عن النقص بتصرف طفيلي، مثلي.

- آه، لا، يا خالتي اوغوستا! انت تقومين بعمل ذي فائدة كبيرة!

ابتسمت الليدي بحزن وقالت:

- شكراً، يا حبيبتي، لكن لا احد سيندم عليّ اذا طلب ليونيل يدك، فأرجوك ان تقبلي.

- لست مغرمة به.

- لكنك تحبينه قليلا؟ هل تجدينه كريهاً ومنفراً مظهرياً؟ أظن لا. وهذا اهم ما في الأمر. الحب الشغوف يزول ويؤدي الى الفشل، في غالبية الأحوال.

فكرت لورنا بكلمات خالتها وانتهت بالموافقة لحكمتها. فلم تكن مستقلة بطبيعة الحال وبحاجة اذن الى رجل ليعاونها ويسهر عليها ويحميها. ربما هذا اللطف الذي تشعر به تجاه ليونيل يتحول يوماً ما الى عاطفة؟ فهما يتمتعان بذوق مشترك واضافة الى ذلك ستنجب منه الأولاد ومعهم تجد السعادة الكبرى. وانقبضت حين تذكرت كلمات مايك حول هذا الموضوع! لن تتمكن يوماً من تصوره رب عائلة. ولا يجب عليها ان تفكر فيه. فقد اختفى في الفراغ، واقامتها في مصر لم تعد سوى ذكرى غامضة وأحياناً كانت تحلم بالأعمدة الضخمة والقلاع المهدمة وتحتها مايك واقفاً بملابس عربية وبريق شغف ينير نظراته. ثم يصبح الحلم كابوساً: فهو يمد لها ذراعيه وقوة مجهولة كانت تمنع لورنا من الركض تجاهه. ثم تستيقظ وتشعر باحساس بالفراغ. لكن نهارات الصيف الدافئة ستمر والحلم سيضمحل كلياً.

وهناك ليونيل بنظراته الخجولة والساحرة. لا يجرؤ على الاقتراب من لورنا ومبادرتها الا اذا لمح تشجيعاً من قبلها. وحتى الآن لم تقرر الفتاة ان تقوم بالخطوة الأولى.

حل الخريف والأشجار في الحدائق أصبحت حمراء وذهبية. تملأ الأرض بأوراقها. ومضى على عودة لورنا من مصر ستة أشهر، وحتى الآن لم تستطع ان تتغلب على أحزانها.

وذات صباح تعكّر صفو هدوئها. كانت تعمل في مكتبها عندما رن الهاتف، فأخذت لورنا السماعة آلياً وقالت:

- منزل الليدي اوغوستا.
- لورنا؟ هذه انت، أليس كذلك؟

انتفضت. هذا الصوت، لم تفكر ابداً انها ستسمعه من جديد.

- مايك! آه، لا...
- آه، نعم، يا حبيبتي. هل فاجأتك؟
- تقريباً!

ضحكت بعصبية وأضافت بتلعثم:

- لقد... لم أفكر... مايك، هل أنت بحالة جيدة؟

مرات عديدة فكرت بحادث او مرض لكن كان مفروضاً ان يكتب لها في فترة ستة أشهر، فقط ليطمئنها... لقد أعطته عنوانها بلندن... وقال لها حينذاك: «هذا العنوان محفور في قلبي...».

لقد وعد ان يرسل اليها رسالة في حال حدوث أي كارثة.

ضحك جواباً على سؤالها:

- كل شيء على ما يرام، فقط الكدمة التي تشوّه وجهي. وحصل ذلك في اليوم الذي كنت أنوي فيه الذهاب الى القاهرة. آمل الا

اكون قد أرعبتك.

اذن حصل حادث ما... وبلهجة عتاب أجابته:

- كان بوسعك ان تكتب الي.
- هذا أمر مستحيل. لقد تأخرت... لكنني لا استطيع ان أحدثك بالتفاصيل على الهاتف. هل تحبين لقائي؟

ردة فعلها الأولى كانت ان تجيبه: نعم... نعم... في أي مكان... ثم استعادت وعيها الواضح، اذ لم تعد تثق به وقالت:

- من أين تتصل بي؟
- أنا عند أهلي، في مارلو.
- هل انتقلت عائلتك أخيراً؟
- يا الهي، كلا! تعيش هنا منذ ولادتي.

لا تفهم لورنا لماذا ينكر عليها الحقيقة. فهي متأكدة ان عائلة فافرشام لا وجود لها في مارلو وعنوانه خطأ ايضا... أضاف يقول:

- اذن، يا حبيبتي؟

لم ترد، فأضاف:

- أين ومتى؟ أنا أرغب كثيراً في رؤيتك.

تغلبت على رغبتها وأعلنت له ببرود:

- أنا آسفة، يا مايك، لكنني أفضل الا أراك. لقد أصبت بصدمة كبيرة في حياتي بسببك... ولا أريد أن أعيد الكرة مرة أخرى.
- لكنني سأشرح لك كل شيء.
- صحيح؟ اسمع، كان عليك ان تأتي منذ ستة أشهر. ومن ذلك الوقت لم اسمع عنك شيئاً ولا أقدر على تحمل المزيد...
- لدي حجج تفسر ذلك.
- طبعاً. بامكانك ان تشرح لي كل ذلك. غير ان انيتا اعطتني

الأسباب الحقيقية لغيابك.

ـ انيتا؟ متى رأيتها؟

ـ عشية موعد لقائنا. وأعلمتني بما تريد ان تقوله.

ـ لم أقل لها شيئاً.

ـ بل، لقد أخبرتني بانك لن تعود وبأنك لا تتمتع بالشجاعة الكافية لتخبرني بذلك بنفسك. حسب رأيها، أنا كارثة في حياتك.

اشتد غضبها لتذكرها لقاء انيتا. وبصوت غريب سألها:

ـ وهل صدقت كلامها؟

ـ ليس في الوقت نفسه. لكنني اضطررت الى تصديقها بعد طول غيابك. فأنت لم تعد واليوم فقط تتذكر وجودي.

ـ كنت متكلا على اخلاصك، وعلى ثقتك.

ـ الظاهر انك لم تقدر اخلاصي ولا ثقتي.

ـ لورنا؟ لست الفتاة نفسها، يا حبيبتي.

ـ هذا استنتاجك! وأنا لست بحبيبتك.

لكن صوت مايك ايقظ أحاسيسها النائمة. كان كيانها بكامله يدعوها اليه. لكنها رفضت ان تصغي الى نفسها. اذا قبلت ان تراه، فستفتت قلبها مرة ثانية. لقد اعتادت ان تعيش من دونه.

ران صمت طويل لكن مايك لم يقفل الخط. وبيأس تابعت تقول:

ـ حدثتني انيتا بصراحة عنك. أنت لن تنجح في الاستقرار ابداً. ولقد أكدت هذا الكلام باختفائك. وأنا استنتجت ما ينبغي لذلك.

ـ لم أتمكن من الاتصال بك.

ـ خلال ستة أشهر بكاملها؟ هذا زمن طويل. لا، يا مايك، لا أقبل هذا العذر.

ـ لورنا، لا يمكنني ان اعطيك جميع التفاصيل على الهاتف. من اجل الله، تعالي نتفق على موعد ما. واذا كنت غير قادرة على الخروج، فسآتي اليك بنفسي.

ـ آه، لا! ارجوك! لا فائدة من استرجاع الماضي. لقد عشنا مغامرة عابرة. والآن كل شيء انتهى... لقد... لقد نسيتك تقريباً.

ضحكت بمرارة ثم قالت:

ـ في كل حال، لدي صديق على وشك ان يطلب يدي.

ـ لورنا! لن أقبل به...

ـ ستضطر الى ذلك، وللأسف. مايك، هل تريد ان تفسد عليّ امكانية ان أعيش حياة سعيدة مع رجل مستقر؟ اذا وصلت الآن، سيتصور ان علاقة ما قد حدثت بيننا. أرجوك، اذا ما زلت تحترمني، أطلب منك ان تبقى بعيداً عن حياتي.

لم يرد. تقلصت يدا لورنا على السماعة وكبتت رغبتها في ان تصرخ له عن حبها. سألها:

ـ هل ترغبين حقاً بذلك؟

ـ هذا أفضل من أجلي... نحن... نؤذي بعضنا. اذا كنت وحيداً في لندن، ستجد بكل تأكيد فتاة جميلة ترافقك في سهراتك. كل فتاة تتمنى ذلك.

ـ لقد فهمت، يا لورنا. لن أسبب لك أي انزعاج في المستقبل.

ظلت لورنا جامدة مكانها مدة طويلة بعدما أقفل الخط. بدأت تندم على ما فعلته، لأنها ما تزال تحب مايك. هل كان يجب عليها حقاً ان تفتح له مجال التفسير عن غيابه؟ وتأكدت لورنا من أمر مهم: لن تكون قادرة على الزواج من ليونيل كارترايت.

وبعد يومين، وخلال حفلة استقبال في شقة خالتها، كانت لورنا جالسة قرب ليونيل وتتحدث معه عن الأوبرا وفجأة قال باستغراب:

- آه، هذا ايليوت هورلي!

كان الشاب يتوجه نحوهما وكأساً في يده. فقال ليونيل:

- اهلا ايليوت! لم أرك منذ زمن بعيد.

- آه، كنت هنا وهناك. لكن، لديك تسليات جديدة، على ما أرى. هل تقدم لي صديقتك؟

تبادل الجميع الرسميات، ثم جلس ايليوت قرب ليونيل وسأله:

- هل تعرف آل بيريسفورد؟

- قليلا. كنت في المدرسة مع كريستوفر. لكنه كان يكبرني بسنوات وكان في صف أعلى. كان الكابتن في فرقة الروغبي، وكنت معجباً به، مثل أي صبي في عمري. ما أزال أتذكر عينيه الزرقاوين الجميلتين. كان شاباً رائعاً.

انتفضت لورنا. لا تحب ان تسمع احداً يتكلم عن العيون الزرقاء. ولحسن الحظ ان عيني ليونيل كانتا سوداوين.

- تساءلت دائماً ماذا حل به. انضم الى الجيش، أليس كذلك؟

- صحيح. لكنه استقال مع أسف والديه. وخلال سنوات عديدة لم يعد احد يسمع عن أخباره. لكنه عاد منذ وقت قصير.

- صحيح؟ أحب ان أراه. ماذا يفعل الآن؟

كان الشابان منغمسان في الحديث عن كريستوفر بيريسفورد فهي لا تعرفه ولم تكن مهتمة بالحديث. كانت ترغب في ان تتركهما وحدهما. لكن ما دامت لا تعرف احداً آخر ظلت جالسة قربهما.

قال ايليوت:

- انه في ورطة كبيرة. لم أره بنفسي، لكن والدي حدثني عنه.

نحن أصدقاء مع السيد والسيدة بيريسفورد. لقد وقعت لكريستوفر مغامرة سيئة في الخارج. ضربوه واعتقد الجميع انه مات. وجده بحّار عجوز عالجه واهتم به حتى شفي نهائياً. الظاهر انه تلقى ضربة قوية على رأسه وظل فاقد الذاكرة مدة طويلة، وما زالت الكدمات على وجهه.

وضعت لورنا يدها على فمها كي لا يراها احد تتثاءب. ولم تتعجب كثيراً لهذه القصة لأن هذا النوع من العدائية يحصل باستمرار في أيامنا.

سأله ليونيل:

- وأين كان؟

- في مصر العليا.

استيقظت لورنا فجأة. مصر العليا تذكرها بذكريات مؤلمة.

- وماذا كان يفعل هناك؟

اخفض ايليوت رأسه هامساً بضعة كلمات، فضحك ليونيل وقال:

- آه، كفى! هذه موضة قديمة في أيامنا. اليوم يستعملون الكهرباء والكواكب التابعة والطائرات الرادارية...

- هذه الأشياء التي تذكرها تستعمل في الاستخبارات العسكرية. وهناك ايضا الكومبيوتر الاقتصادي والسياسي. وخاصة في هذا الوقت بالذات...

صرفت لورنا عن متابعة الحديث، لأنها تجهل أمور السياسة تماماً. لكن ايليوت أضاف يقول:

- بعد الحادث أعلنت الدولة عن اختفائه. [illegible] انه لم يتقاعد من وظيفته الحالية [illegible] خلال سنة

أشهر يصارع الحياة. اخيراً تمكنت السفارة البريطانية في مصر من ترحيله الى بلاده.

ستة أشهر؟ كتّفت لورنا يديها فوق ركبتيها... مصر العليا... ستة أشهر صمت...

أكمل ايليوت الحديث قائلا:

ـ هناك قصة تحاك حوله. لقد استعمل خلال اقامته حجة لتغطية الدور الذي يقوم به، اذ لعب دور بهلوان، كممثل بديل في تصوير فيلم أقيم في قلب الصحراء... آنسة ترافيرس، مابك؟ الا تشعرين بصحة جيدة؟

كانت لورنا تنظر اليه من دون ان تراه. في رأسها بدأت تدرك ما حصل. فكريستوفر بيريسفورد هو مايك فافرشام... ولهذا السبب لم تجد رقم هاتفه في الدليل! وماذا لو كانت قصة ايليوت الطويلة حقيقية... ماذا فعلت؟ كيف استطاعت ان تحدثه بهذه القساوة؟

وبعد جهد كبير استطاعت ان تنهض من مقعدها وتقول:

ـ انا على ما يرام... فالطقس حار اليوم... هل تسمحون لي بالاعتذار...

تقدمت خطوة الى الأمام، مسرعة بالفرار. تدخل ليونيل قلقاً على شحوب وجهها وقال:

ـ هل بامكاني مساعدتك؟ هل تشعرين بضعف؟ بامكاني ان أنادي الليدي اوغوستا، اذا ما أردت ذلك...

ـ لا، لا! أرجوك. ابق هنا مع ايليوت. سآخذ حبة اسبرين وأتمدد فترة قصيرة.

ولما أصبحت وحدها في الغرفة، سقطت على سريرها، ورأسها بين يديها. لقد طلب مايك منها ان تثق به وهي خانته. هو الآن في

انكلترا وبامكانها ان تتصل به ما دامت عرفت حقيقة اسمه. ستفعل كل ما في وسعها كي تساعده.

أسرعت لورنا الى غرفة خالتها وبحثت عن الرقم في الدليل الهاتفي وطلبته وانتظرت. سمعت صوتاً غريباً في آخر الخط فقالت:

ـ مساء الخير، يا سيد... هل كريستوفر موجود، من فضلك؟

ران صمت طويل ثم سألها المتكلم عن اسمها فأضافت:

ـ لورنا ترافيرس... أنا صديقة له. لقد عاد من سفره، أليس كذلك؟ هل بامكاني التحدث اليه؟

ـ آسف، هذا مستحيل. ابني ليس بصحة جيدة، ذهب ليرتاح. اصدقاؤه يؤدون له خدمة كبيرة اذا تركوه وشأنه.

ـ لكن... هذا أمر ضروري! يا سيد. هل بامكانك ان تقول لي أين بامكاني ان أجده؟ سأتصل به او أكتب اليه...

ـ يا عزيزتي، لا يستطيع كريستوفر الخروج... ولا يحب رفقة النساء.

ـ أنا... أعني... أنا...

ـ تبدين شديدة العصبية يا آنسة، وكريستوفر ليس بحاجة لذلك، في الوقت الحاضر سامحيني اذا كنت مباشراً. لو أراد الاتصال بك، لكان أعلمنا بالأمر. لكنه يود ان يبقى وحده وأصر على هذه النقطة بالذات.

أقفل الرجل السماعة.

غادر المدعوون الحفلة وتوجهت الليدي اوغوستا الى غرفتها متسائلة ماذا حل بابنة اختها. فوجدت لورنا قرب السماعة تجهش بالبكاء.

١٠- لورنا تبوح لخالتها

كانت الليدي اوغوستا تحب ابنة اختها حباً كبيراً، تجدها عقلانية وجدية. لذلك اندهشت كلياً لرؤيتها على هذه الحال. فاستيقظت فيها غريزة الامومة التي طالما كبتتها، وضمت الفتاة بين ذراعيها. وشيئاً فشيئاً كفت لورنا عن البكاء.

قالت لها الليدي اوغوستا راجية:

- اخبريني وستشعرين بالارتياح. انا لست امرأة عمياء وكنت ارى بوضوح حزنك وكآبتك. لكنني اعتقدت انك شفيت كلياً منها.

شيئاً فشيئاً وبطريقة متماسكة، اخبرت لورنا قصتها منذ البداية. وفوجئت خالتها بهذا الانفعال الشديد عند هذه الفتاة الهادئة والمتحفظة. فمدت اليها منديلا وقالت:

- خذي وامسحي عينيك. كل شيء يمكن التعويض عنه... كريستوفر بريسفورد... التقيت به مرّة عندما كان في الجيش. انه شاب وسيم ومن عائلة كريمة. كنت اعرف انه ملحق في السفارة البريطانية في القاهرة. لكنني لم التق به هناك ابداً.

- عدم اللقاء بأحد... ربما خشية ان يفضح امره. لكن كيف يكون ملحقاً في السفارة البريطانية؟

ابتسمت الليدي اوغوستا وقالت:

- ولم لا؟

اكملت وهي تشرح لها دور بعض الموظفين الخاصين. لكن لورنا لم تكن مهتمة بهذه القصة.

- وعم كان يبحث؟

- هو وحده قادر على ان يرد على سؤالك وبالطبع لن يفعل ذلك. لا شك انه ارسل الى القاهرة كي يقوم بعمل مهم للدولة. كنت لا اثق بتحركات ونشاطات العجوز ابراهيم في سيدي دارا. ولهذا السبب اردت ان اراه... اتساءل اذا كان ظهورك في الصحراء قد ساعد كريستوفر ام ازعجه.

- اعتقد انه انزعج. كان دائماً منزعجاً مني.

- في قصص الاستخبارات، يدخلون دائماً فتاة جميلة تكون عميلة على خطين.

ابتا! لكنها لم تكن جميلة بل متدخلة في القصة. كانت تعمل مع مايك ولا شك انها لم تحبذ تدخل لورنا.

فكرت الليدي اوغوستا مطولا ثم قالت:

- لا شك انه كان انهى تقريباً مهمته عندما رآك واراد ان يعيدك الى انكلترا. ويستقيل من مهامه، ثم يتزوج، على ما اظن. يا لسوء حظه

لأنه هوجم في اليوم الذي كان ينوي فيه ان يعود الى القاهرة. كأنما اراد احد ان يمنعه عن ذلك...

تخيلت لورنا فجأة انيتا وعادت تهديداتها الى ذاكرتها: «افضل ان اراه ميتاً...» لكن لا، انيتا كانت تحبه ومن غير المعقول ان تكون قد نظمت عملية الاعتداء عليه.

- الا يزعجك معرفة ماذا كان يعمل؟

- كلا، لماذا؟ ماضيه وحاضره ومستقبله... لا شيء يخيفني. سأحبه دائماً. كان لطيفاً وخدوماً معي وكثير الاحترام. لكن، عندما عاد الى انكلترا، رفضت ان اصغي اليه. عزة نفسي كانت في غير محلها وحقدي سيطر على الأمر. اعلنت له عن خطبتي لليونيل!

- ربما ليونيل افضل لك منه؟ انه شاب... اقل مغامرة...

- لا تتحدثي هكذا اريد مايك او لا احد! لم اثق به ولن اسامح غلطتي ابداً.

- انت حقاً تحبينه وانا اصدقك. الحب الحقيقي احساس نادر الوجود ولا يمكنني ان الومك! ستة أشهر أمد طويل. لا تلومي نفسك لأنك غير قادرة ان تفهمي المشاكل التي تعرض لها؟

- معظم الفتيات يتجاهلن هذه الأمور مطلقاً.

- وهذا ما يفكر به، وانا رفضت ان اصغي اليه!

- نعم، اعرف ذلك، لقد سبق وقلت ذلك. الآن هدئي من روعك. سنحاول ان نسوّي الامور كلها.

- لقد رحل ورفض والداه ان يخبراني عن مكان وجوده. فلدي مراكز استعلامات تسمح لي بمعرفة المعلومات السرية.

- واذا رفض ان يراني؟

- لكنه سيقبل، وانا متأكدة من ذلك. اعتقد... انه غير قادر ان

يعيش من دونك وانت كذلك. ومتى رأيتما بعضكما البعض، ستزول المشكلة.

- آه، يا خالتي اوغوستا!

- قدري لم يسمح لي ان التقي بشريك حياتي وفضلت ان ابقى عازبة.

- لذلك لا يمكنني ان اتزوج من ليونيل.

- مسكين ليونيل! والآن من الأفضل لك ان تنامي وعديني الا تبكي.

لم ينهمر الدمع من عيني لورنا لكنها ظلّت مستيقظة معظم الوقت تحلل في رأسها كل الحوادث التي حصلت خلال اقامتها في مصر.

وبعد يومين، قدمت لها الليدي اوغوستا ورقة وفي وجهها ابتسامة انتصار. وقالت لها:

- بامكانك ان تأخذي السيارة، فانا لست بحاجة اليها. الطقس جميل وستصلين الى العنوان المذكور خلال نهار واحد.

وصلت لورنا بعد ظهر اليوم التالي الى توركي. فقد غادرها السيّاح بعد اعياد آخر السنة تاركين المنطقة فارغة وحزينة تحت سماء رمادية.

وجدت الشارع بسهولة وكذلك فندق مايك. اوقفت السيارة وراح قلبها ينبض بسرعة ثم اسرعت راكضة نحو الباب ورنت الجرس. فتحت لها امرأة مضيافة ولما سألتها لورنا عن السيد بيريسفورد راحت تتفحصها بامعان وقالت:

- لقد خرج. فهو يمشي كثيراً. هل انت على موعد معه، يا آنسة؟ لقد قال لي ان ابعد اي زائر يتصل به.

- نعم، انه ينتظرني. لقد وصلت من لندن ولديّ رسالة مهمة عليّ

ان اوصلها اليه شخصياً.

هل بامكانك ان تقولي اين يذهب عادة في نزهته؟

ترددت صاحبة الفندق لحظة، لكنها اخذت قراراً بعدما نظرت الى وجه لورنا القلق وقالت:

ـ عادة يذهب الى القصر. انه مكانه المفضل. انتبهي، الطريق صعبة في هذه الساعة.

شكرتها لورنا واسرعت الى سيارتها. كانت تقود بحذر على الطريق المترجرجة التي تؤدي بها الى القصر. وصلت اخيراً الى مساحة مخصصة لايقاف السيارات. نزلت ونظرت حولها.

برزت امامها كتلة ضخمة من الصخور التي بني عليها القصر الذي اصبح اليوم آثاراً قديمة. وللوصول الى القصر كان يجب اجتياز جسر فوق نهر ضيق ثم عبور سلم وعر ومنحدر. الى اليسار تلة اخرى والجدران المدمرة لحصن قديم. الى اليمين طريق حجرية تنزل نحو الشاطىء.

في اي اتجاه ذهب مايك؟ القت نظرة حول القصر وادركت ان الصعود اليه صعب ولا شك ان الريح هناك تعصف بشدة. شعرت برعشة باردة، فرفعت قبعة معطفها. الديكور موحش ومؤسف، النوارس تصرخ وتزيد المكان كآبة.

فجأة لمحت من بعيد قرب الخليج شبح انسان وحيد، وضع يديه في جيوبه، ونظره محدق بالبحر. انه مايك.

خفق قلبها بجنون وفرح، واخذت الطريق التي تؤدي الى الشاطىء ونادته. الريح القوية اضاعت صوتها. لكنه لا شك شعر بوجود انسان يقترب منه، فالتفت الى الوراء.

وبينما كان يتقدم نحوها، كانت تتفحصه. لقد نحل وملابسه

واسعة عليه. وجهه شاحب وملامحه مشدودة. وعلى جانب وجهه كدمة طويلة تمتد من الصدغ حتى الفك. اغتم قلب لورنا وصرخت باكية:

ـ آه، مايك! مايك!.

وتذكرت فجأة اسمه الحقيقي وقالت:

ـ لا يمكنني ابداً ان ادعوك كريستوفر.

ـ لا داعي لذلك، فمايك اسمي الثاني.

ما دامت تعرف الحقيقة كلها فلا سبب في هذه الفترة ان تشرح له عن ندمها وتطلب منه السماح. لقد التقيا اخيراً وهذا اهمّ ما في الأمر.

ولما عادا الى الفندق، جلسا امام المدفأة في غرفة مايك. الدفء والسعادة والحب اضاءت وجهه الذي بدأ يتلوّن قليلا. لاحظت لورنا بعض الشعر الأبيض وتنهدت لتذكرها اللقاء في الاهرام.

كانت جالسة على بساط قرب مايك وتركز رأسها على ركبتيه. وهو كان يداعب شعرها الناعم. فجأة سألته:

ـ ماذا حلّ بانيتا؟

ـ ماتت. . . في حادث سير في القاهرة.

لم يتأسف عليها وتساءلت لورنا اذا ما كان يشك بها. لكن انيتا ذهبت وخطاياها ذهبت معها.

تنهّد مايك وتحرّك قليلا. ثم وضع يديه تحت ذراعي الفتاة ورفعها على ركبته. . . وضمها اليه وهمس:

ـ لو تعرفين كم حلمت بهذه اللحظة. انت وانا وحيدان امام مدفأة مشتعلة. سنبني مدفأة في منزلنا، يا لورنا

سألته:

ـ الن تسافر بعد الآن؟

ـ كلا. سأبوح لك بسرّ. كل حياتي كنت ابحث ولا اعرف عن ماذا بالضبط. قمت بمهمات خطرة وسافرت. لكن اليوم وجدت ما ابحث عنه.

ـ ماذا وجدت؟

ـ على ضفاف النيل. الا تفهمين؟ وجدتك انت، يا حبيبتي. التقيك ثم اضعتك. واليوم، اخيراً، وجدنا بعضنا، فبامكاني ان استريح.

ـ انت رومنسي اكثر مني!

ـ هل لديك اعتراض ضد الرومنسية؟ يجب ان يحلم الانسان من وقت الى آخر. لا تتركيني ابداً، يا حبيبتي.

ـ لا يمكنني ان تركك ابداً، الآن.

عانقها مايك مطولا. النار تفرقع في المدفأة بفرح. ونور شمس المغيب يلفهما بنعومة الحرير.